



# الأدب العربي وتاريخه

العصر الجاهلي

وعصر صدور الإسلام والعصر الأموي

للسنة الأولى الثانوية

ح جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٦هـ —  
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.  
الإدارة العامة لتطوير الخطط والمناهج بالجامعة.  
الأدب العربي وتاريخه للسنة الأولى الثانوية في المعاهد العلمية. / الإدارة  
العامة لتطوير الخطط والمناهج بالجامعة.. الرياض، ١٤٢٦هـ —  
(١٦٠) ص ٢١,٥ × ٢٧ سم.  
ردمك : ٩٩٦٠-٠٤-٥٣٢-٣  
١- الأدب العربي - تاريخ - كتب دراسية. أ- العنوان.  
ديوي ٨١٠,٩٠٠٧١٢ ١٤٢٦/٥٣٣

رقم الإيداع: ١٤٢٦/٥٣٣  
ردمك: ٩٩٦٠-٠٤-٥٣٢-٣

للتواصل مع الإدارة العامة لتطوير الخطط والمناهج  
هاتف: ٠١١٢٥٨٢٢٢٢ ، فاكس: ٠١١٢٥٩٠٢٤٩  
بريد إلكتروني (mnaaj@imamu.edu.sa)  
أو من خلال بوابة الجامعة الإلكترونية (www.imamu.edu.sa)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



**الفصل الدراسي  
الثاني**

## توزيع المنهج للفصل الدراسي الثاني

ملحوظات	الموضوعات	الأسبوع وتاريخه
واجب منزلي	الأدب في عصر صدر الإسلام، أثر الإسلام في اللغة والأدب، أثر القرآن في اللغة والأدب، أثر الحديث في اللغة والأدب	الأول من / / ١٤٣هـ
	الشعر في عصر صدر الإسلام، موقف الإسلام منه، أغراضه.	الثاني من / / ١٤٣هـ
	خصائص الأدب في عصر صدر الإسلام. قراءة قصيدة النابغة الجعدي (خليلي..). وتوضيحها. (حفظ ستة أبيات منها)	الثالث من / / ١٤٣هـ
	حسان بن ثابت (حياته وشعره وأغراض شعره) قراءة قصيدة حسان في رثاء الرسول ﷺ (بطيية رسم للرسول) وتوضيحها (حفظ سبعة أبيات منها)	الرابع من / / ١٤٣هـ
واجب منزلي	كعب بن زهير (حياته وشعره وأغراض شعره). قراءة قصيدة كعب بن زهير في مدح الأنصار وتوضيحها. (حفظ ستة أبيات منها)	الخامس من / / ١٤٣هـ
	النثر في صدر عصر الإسلام. الخطابة والرسالة. قراءة خطبة الرسول ﷺ في الخيف. (حفظ الخطبة)	السادس من / / ١٤٣هـ
	الأدب في العصر الأموي، الشعر وأغراضه (السياسي، المدح، الهجاء، النقائص)	السابع من / / ١٤٣هـ
واجب منزلي	<b>اختبار منتصف الفصل الدراسي الثاني.</b>	الثامن من / / ١٤٣هـ
	شعر الفتوح والدعوة الإسلامية، خصائص الشعر الأموي.	التاسع من / / ١٤٣هـ
	جرير (حياته وشعره وأغراض شعره). قراءة قصيدة جرير في مدح عبد الملك (أتصحو أم فؤادك). (حفظ خمسة أبيات منها)	العاشر من / / ١٤٣هـ
	الفرزدق (حياته وشعره وأغراض شعره). قراءة قصيدة الفرزدق في وصف الذئب (وأطلس عسال). (حفظ خمسة أبيات منها).	الحادي عشر من / / ١٤٣هـ
واجب منزلي	النثر في العصر الأموي (الخطابة، الرسائل).	الثاني عشر من / / ١٤٣هـ
	دراسة أدبية لرسالة عبد الحميد الكاتب إلى الكتاب (حفظ الرسالة)	الثالث عشر من / / ١٤٣هـ
	مراجعة ما حفظ من الشعر والنثر	الرابع عشر من / / ١٤٣هـ
	<b>مراجعة عامة</b>	الخامس عشر من / / ١٤٣هـ

## الأدب في عصر صدر الإسلام

### أثر الإسلام في اللغة والأدب:

كانت حياة العرب في الجاهلية تقوم على الجهل الذي هو التناول والبغي والإشراك بالله وعبادة الأصنام وإتيان الفواحش.. إلى غير ذلك من مظاهر الجاهلية.

فجاء الإسلام وغير هذه الحياة الجاهلية وأخرج العرب من الظلمات إلى النور، وأثر في حياتهم تأثيراً كبيراً، ورسم لهم طريقاً جديداً، ونبذ طريقهم القديم.

والأدب بشعره ونثره مظهر من مظاهر الحياة المختلفة، أثر فيه الإسلام كما أثر في غيره من نواحي الحياة، واللغة هي المعبرة عن الأدب فلا يمكن أن نتصور أدباً من دون لغة، وبناء على ذلك فإن اللغة تأثرت بالإسلام تأثراً ملموساً في طرق التعبير المختلفة سواء كان ذلك في المفردات أو في التراكيب أو في البناء العام.

وقد رقق الإسلام ألفاظ اللغة وأبعدها عن الجفاء والغلظة، كما حول أساليبها إلى العذوبة والسلاسة. وقد أسهم المسلمون من غير العرب في رقي أدب اللغة العربية فبرز شعراء وخطباء وكتاب أسهموا بنصيب كبير في توسع الأدب وتعدد أغراضه.

وبما أن الإسلام جاء بفكر جديد يحتاج إلى شرح وتوضيح فقد برزت الخطابة بأساليبها الجديدة، كما توسع كتاب الرسائل في التفنن في أساليبهم، وبرزت المناظرات بفنونها الأدبية والبلاغية، فأثر الإسلام في اللغة والأدب ظاهر وجلي.

## أثر القرآن في اللغة والأدب

جمع القرآن العرب على لغة قريش فتخلوا عن لهجاتهم، كما غير عقلية العربي ونمط تفكيره، ورقق عاطفته وأسلوبه فأصبح يختار من الكلمات أليئها ومن الأساليب أسهلها، وأخذ يبتعد عن الكلمات الجافية الغليظة.

وقد شاعت الكلمات الإسلامية في اللغة مثل: الصلاة، الزكاة، الصيام، الحج، القيام، الركوع، السجود، الوضوء، المؤمن، الكافر، الإيمان، الفرقان، الإشراف، النفاق. وقد اهتم المسلمون بعلوم العربية ليحفظوا القرآن من اللحن، ومن تلك العلوم: النحو والصرف واللغة، وذلك الاهتمام بتلك العلوم إنما هو بتأثير القرآن. كما عني المسلمون بعلوم البلاغة من بيان ومعان وبديع لبيئوا إعجاز القرآن، ولاشك أن ذلك الاهتمام أثرى اللغة العربية وطور أساليبها.

وقد حفظ القرآن الكريم اللغة العربية فبقيت لغة حية على مر العصور بالإضافة إلى أنه هو الذي أتاح لها أن تنتشر في أنحاء المعمورة، فالمسلمون يحفظون القرآن ويتلونه في صلواتهم على مدار اليوم والليله وإن كانوا من غير العرب.

وقد تأثر الأدباء بأسلوب القرآن الكريم واقتفوا أثره حتى أصبحت أساليبهم تقتبس منه، فمنها ما تأثر به كثيراً ومنها ما هو دون ذلك. وأما معاني الأدباء فقد وسعها القرآن لأنهم يأخذون من معان لا تنفذ، فلو تتبعنا الشعر والخطب والرسائل لوجدنا أن معانيها لا تبعد عما اشتمل عليه القرآن، وقد اعتمد الخطيب والكاتب على القرآن الكريم في الاستشهاد على كلامه وبذلك أصبحت الآيات القرآنية مصدراً مهماً لدعم الخطبة أو الرسالة، وكلما كان ذلك الاستشهاد مناسباً كان ذلك الكلام أكثر تأثيراً في النفس.

## أثر الحديث في اللغة والأدب

أسهم الحديث بجانب القرآن الكريم في نشر اللغة العربية وتعليمها للمسلمين من غير العرب لأنهم أصبحوا يحفظون الأحاديث. ثم نشأت الدراسات المعتمدة على الحديث، من شرح له وتوضيح غريبه والبحث في رجال سنده، وتلك الدراسات وسعت دائرة اللغة في الاشتقاق وشرح الغريب بلفظ مرادف وتوضيح المعاني بتفنيقها إلى معان جزئية ليسهل فهمها.

وقد شاعت ألفاظ وتعبيرات في اللغة العربية بعد أن تناقل الناس أحاديث الرسول ﷺ منها: "هُدْنَةٌ عَلَى دَخْنٍ وَجَمَاعَةٌ عَلَى أَقْدَاءٍ"<sup>(١)</sup>. "الآن حمي الوطيس"<sup>(٢)</sup>. "لا يلسع المؤمن من جحر مرتين". وإذا كانت الألفاظ التي يستعملها الأديب المسلم في أدبه هي من خيار ما يحفظ من النصوص فإن ألفاظ الأحاديث الشريفة وتراكيبه وتعبيراته برزت في الأدب الإسلامي لأنها من محفوظات الأدباء سواء كانوا خطباء أو شعراء أو كتاباً، فقد رقت ألفاظهم وعذبت أساليبهم.

والأدب إنما هو ألفاظ مختارة، وتراكيب متقنة، وأساليب مجودة، ومعان مؤثرة، فإذا بحث الأديب عما يعينه في صنع أدبه فلا شك أن الحديث الشريف يعد مصدره الثاني بعد القرآن الكريم، فالشعراء وسعوا معارفهم عن طريق حفظ الحديث وروايته والاستفادة من ألفاظه وتعبيراته ومعانيه، فهو مصدر إلهام لهم يستمدون منه معانيهم ويعتمدون عليه في ثقافتهم الإسلامية، والخطباء استفادوا من معاني الحديث وأساليبه فاستقامت ألسنتهم وقويت حججهم. والكاتب يستمد كثيراً من موضوعاته من الحديث، فهو يدعم رسالته بمعانيه وبعباراته أحياناً. وبناء على ما تقدم يظهر لنا أن أثر الحديث في اللغة والأدب ملحوظ في لغة الأديب، وفي أسلوبه ومعانيه.

(١) دخن: حقد. والأقْدَاء: جمع قذى ويقصد به الضرر الذي يصير عليه صاحبه حتى يستطيع أخذ حقه من خصمه.

(٢) الوطيس: التنور، ويراد به اشتداد الحرب.

## الشعر في عصر صدر الإسلام

### موقف الإسلام من الشعر:

عندما بعث الرسول ﷺ كان في مكة عدد من الشعراء، وبعد هجرته ﷺ إلى المدينة تطاول شعراء المشركين على الرسول والمسلمين فاضطر شعراء الأنصار إلى الدفاع عن الإسلام مثل حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة، وقد دفعت هذه الخصومة شعراء مكة إلى الإكثار من الشعر. ومن شعراء مكة عبد الله بن الزبيري، وضرار بن الخطاب، وأبو سفيان بن الحارث.

أما الشعراء الذين دخلوا في الإسلام من غير شعراء مكة والمدينة فقد قل شعرهم أو توقف، ومن هؤلاء ليبيد بن ربيعة العامري، وكعب بن زهير، وذلك يعود إلى ورع الشعراء وعدم إطلاق العنان لألسنتهم، فالإسلام نفر من الشعر السيء ولكنه لم يجرم الشعر فقد ورد في القرآن الكريم:

﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ﴿٢٢٧﴾ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٨﴾ ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ<sup>٢</sup> إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُبِينٌ ﴿٢٦﴾ ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد ورد في الحديث: " لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً خيراً له من أن يمتلىء شعراً"<sup>(٣)</sup>.

ففي الآية الأولى لا نجد تحريماً للشعر، والحديث الشريف ينفر من الشعر السيء، أي إنه لا

(١) سورة الشعراء الآيات من ٢٢٤ إلى ٢٢٧.

(٢) سورة يس، آية ٦٩.

(٣) البخاري ٤٥/٨ ط دار الشعب.

يُحرم الشعر بدليل قول الرسول ﷺ: "إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ حِكْمَةً"<sup>(١)</sup>، وقوله ﷺ: "أَصْدَقُ كَلِمَةً قَالَهَا شَاعِرٌ كَلِمَةٌ لِيَبِيدَ: "أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ"<sup>(٢)</sup>.

وقد قال ﷺ لحسان: "اهجهم أو هاجهم وجبريل معك"<sup>(٣)</sup>. وكان ﷺ يسمع الشعر من وفود العرب، وربما رضي عن المذنب بسبب شعره كما حصل لكعب بن زهير عندما ألقى قصيدته: "بانت سعاد" بين يدي الرسول ﷺ. ومن خلال ما تقدم يتضح لنا أن المحرم من الشعر هو ما أتى بالشرك وصرّف عن الإسلام أو خالف مبادئه أما غير ذلك فلم يرد فيه تحريم.

### أغراض الشعر في عصر صدر الإسلام

أغراض الشعر في هذا العصر لا تكاد تختلف عن الأغراض التقليدية للشعر فيما عدا شعر الدعوة الإسلامية والفتوح.

لكن المعاني التي تحتويها هذه الأغراض تختلف عن معانيها في العصر الجاهلي وفيما يلي توضيح ذلك

#### المدح:

يهدف المدح في هذا العصر إلى الإشادة بالإسلام ورسول الإسلام، فليس هدف المدح طلب المال كما كان يفعل الجاهليون، وإنما هدفه رفع راية الإسلام والدعاية له حتى يدخل العرب فيه، وخير ما يمثل ذلك قول عبد الله بن رواحة:

يا هاشمَ الخَيْرِ إِنَّ اللَّهَ فَضَّلَكُمْ  
عَلَى الْبَرِيَّةِ فَضلاً مالهُ غَيْرٌ<sup>(٤)</sup>  
إِنِّي تَفَرَّسْتُ فِيكَ الْخَيْرَ أَعْرِفُهُ  
فِرَاسَةً خَالَفَتْهُمْ فِي الَّذِي نَظَرُوا

(١) البخاري ٤٢/٨.

(٢) البخاري ٤٤/٨.

(٣) البخاري ٤٥/٨.

(٤) الغرير: التغيير.

وَلَوْ سَأَلْتَهُ أَوْ اسْتَنْصَرْتَ بَعْضَهُمْ  
فَقَبَّتَ اللَّهُ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنِ  
فِي جُلِّ أَمْرِكَ مَا أَوْوَا وَمَا نُصِرُوا<sup>(١)</sup>  
تَثْبِيتَ مُوسَى وَنُصْرًا كَالَّذِي نُصِرُوا<sup>(٢)</sup>

ومن أجمل ما قيل في مدح الرسول ﷺ قصيدة (بانت سعاد) التي ألقاها كعب بن زهير بين يدي الرسول ﷺ، ومن أبيات تلك القصيدة قوله:

إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ  
وَمَدَحَ النَّابِغَةِ الْجَعْدِيِّ الرَّسُولِ ﷺ فَقَالَ:  
مُهْتَدٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ مَسْلُوبٌ  
أُتِيتُ رَسُولَ اللَّهِ إِذْ جَاءَ بِالْهُدَى  
وَيَتْلُو كِتَابًا كَالْمَجْرَةِ نِيرًا<sup>(٣)</sup>

فهؤلاء الشعراء لم يمدحوا الرسول بالكرم والشجاعة كما كان سائداً عند شعراء المدح في الجاهلية، وإنما مدحوه بما جاء به من الهدى والنور والقرآن بالإضافة إلى شجاعته ﷺ وكرمه؛ فمعاني المدح في الإسلام تختلف عن معاني المدح في الجاهلية.

وبعد وفاة الرسول ﷺ قل شعراء المدح وأصبح المدح ليس غرضاً للشعراء فالأبيات التي قيلت في مدح الخلفاء الراشدين قليلة إذا قيست بالأعمال التي قاموا بها.

## الهجاء:

استعرت نار الهجاء بين شعراء مكة وشعراء المدينة بعد هجرة الرسول ﷺ من مكة، والمعاني التي ترد في هجاء شعراء المدينة هي معان مختلفة، فقد يستعمل الشاعر المعاني المألوفة؛ من رمي خصمه بالهروب من المعركة والجن، وقد يستعمل الشاعر المعاني الجديدة من رمي المهجو بالكفر والشرك، وكان حسان رضي الله عنه يكثر من المعاني التقليدية في الهجاء، وكان لذلك أثر كبير في من يهجوهم.

وبعد فتح مكة تضاءل الهجاء ولم يكن له شأن كبير وكان الخلفاء الراشدون يمنعون الشعراء من سب الناس والتعرض لأعراضهم.

(١) بعضهم: بعض قريش.

(٢) نصروا: يقصد الرسل. والأبيات في طبقات فحول الشعراء ١/٢٢٦.

(٣) الأغاني ٩/٥.

## الحماسة:

الشعر الحماسي في الإسلام صَاحَبَ الدعوة الإسلامية منذ فجرها، فهو الشعر الذي يشجع المقاتلين من المسلمين على القتال ويعتز بانتصارات المسلمين على الأعداء، ومن الشعراء الذين كان لهم نصيب في هذا الشأن كعب بن مالك، فله أشعار حماسية في كثير من غزوات الرسول ﷺ؛ فمن ذلك قوله في معركة أُحد:

فَجئْنَا إِلَى مَوْجٍ مِنَ الْبَحْرِ وَسَطَهُ      أَحَابِيشُ مِنْهُمْ حَاسِرٌ وَمُقَنَّعٌ<sup>(١)</sup>  
ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَنَحْنُ نَصِيَّةٌ      ثَلَاثُ مِئِينَ إِنْ كَثُرْنَا وَأَرْبَعٌ<sup>(٢)</sup>  
فَرَاخُوا سَرَاعاً مُوجِفِينَ كَأَنَّهُمْ      جَهَامٌ هَرَاقَتْ مَاءَهُ الرِّيحُ مُقْلِعٌ<sup>(٣)</sup>  
وَرُحْنَا وَأَخْرَانَا تَطَانَا كَأَنَّنَا      أَسُودٌ عَلَى لَحْمٍ بَيْشَةَ ظُلْعٌ<sup>(٤)</sup>

وقال عبد الله بن رواحة في يوم مؤتة بعد أن قُتِلَ صاحباها زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب:

أَفَسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلِنِي      طَائِعَةً أَوْ لَا لَتُكْرَهِنِي<sup>(١)</sup>  
وَطَالَمَا قَدْ كُنْتَ مُطْمَئِنَّةً      مَالِي أَرَاكَ تَكْرَهِينَ الْجَنَّةَ

## الرتاء:

الرتاء من الأغراض التي كان لها شأن في زمن النبي ﷺ والخلفاء الراشدين، فالحروب مستعرة، والفتن تتهدد المسلمين، وفقد الرجال يصحب تلك الحروب وتلك الفتن. ومن أهم ما قيل في الرتاء في هذه الفترة قول حسان في رتاء الرسول ﷺ:

بَطِيئَةَ رَسْمٍ لِلرَّسُولِ وَمَعْهَدُ      مَنِيرٌ وَقَدْ تَعْفُو الرُّسُومُ وَتَهْمَدُ

(١) أحابيش: أحلاف قريش.

(٢) نصية القوم: خيارهم.

(٣) موجفين: مسرعين. الجهام: السحاب الخفيف الذي أفرغ مائه.

(٤) بيشه: المدينة المعروفة في الجنوب الغربي من المملكة وكانت الأسود تكثر فيها.

وهي قصيدة طويلة، وله قصيدة أخرى مطلعها:

مَا بَالُ عَيْنِكَ لَا تَنَامُ كَأَنَّمَا      كُحِلَّتْ مَا فِيهَا بِكُحْلِ الْأَرْمَدِ  
ويقول فيها:

يَارَبِّ فَاجْمَعْنَا مَعاً وَبَيْنَنَا      فِي جَنَّةٍ تَثْنِي عِيُونَ الْحُسَدِ  
صَلَّى إِلَهِهِ وَمَنْ يَحْفُ بِعَرْشِهِ      وَالطَّيِّبُونَ عَلَى الْمُبَارَكِ أَحْمَدِ

وقال عبد الله بن رواحة يرثي حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنهما:

بَكَتْ عَيْنِي وَحُقَّ لَهَا بُكَاهَا      وَمَا يُعْنِي الْبُكَاءُ وَلَا الْعَوِيلُ  
عَلَى أَسَدِ إِلَهِ غَدَاةٍ قَالُوا      أَحْمَزَةَ ذَاكُمْ الرَّجُلُ الْقَتِيلُ  
عَلَيْكَ سَلَامٌ رَبِّكَ فِي جِنَانٍ      مُخَالِطَهَا نَعِيمٌ لَا يَزُولُ

وقد رثي الخلفاء الراشدون بمرث كثيرة فمما قيل في أبي بكر قول حسان رضي الله عنهما:

إِذَا تَذَكَّرْتَ شَجَوْا مِنْ أَخِي ثِقَةٍ      فَاذْكُرْ أَخَاكَ أَبَا بَكْرٍ بِمَا فَعَلَا  
وَكَانَ حِبًّا رَسُولِ اللَّهِ قَدْ عَلِمُوا      مِنَ الْبَرِيَّةِ لَمْ يَعْدِلْ بِهِ رَجُلَا

ومن خير ما قيل في رثاء عمر رضي الله عنه قول جزء بن ضرار الذبياني:

جَزَى اللَّهُ خَيْرًا مِنْ أَمِيرٍ وَبَارَكْتَ      يَدُ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْأَدِيمِ الْمَمْرُوقِ<sup>(١)</sup>  
فَمَنْ يَسْعَ أَوْ يَرْكَبُ جَنَاحِي نَعَامَةٍ      لِيُذْرِكَ مَا حَاوَلْتَ بِالْأَمْسِ يُسْبِقُ  
قَضَيْتَ أُمُورًا ثُمَّ غَادَرْتَ بَعْدَهَا      بَوَائِقَ فِي أَكْمَامِهَا لَمْ تَفْتَقِ<sup>(٢)</sup>  
وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ وَفَاءَهُ      يَكْفِي سَبَبْتِي أَرْزَقِ الْعَيْنِ مُطْرِقِ<sup>(٣)</sup>

وقد رثي أيمن بن حريم بن فاتك الأسدي عثمان بن عفان فقال:

ضَحَّوْا بِعُثْمَانَ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَلَمْ      يَخْشَوْا عَلَى مَطْمَحِ الْكَفِّ الَّذِي

(١) الأديم: الجلد.

(٢) بوائق: غوائل. أكمامها: جمع كم وهو وعاء الثمر.

(٣) السبتي: الثمر أو هو مأخوذ من الإسبات وهو السكون والهدوء. الأبيات في طبقات فحول الشعرا ١/١٣٣.

مَاذَا أَرَادُوا أَضَلَّ اللَّهُ سَعِيَهُمْ      مِنْ سَفَحِ ذَاكَ الدَّمِ الزَّائِي الَّذِي  
إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَتَلَهُ سَفَهًا      لاقُوا أُنَامًا وَخُسْرَانًا فَمَا رِيحُوا<sup>(١)</sup>

أما رثاء علي بن أبي طالب فهو كثير، نختار منه قول أبي الأسود الدؤلي:

أَفِي شَهْرِ الصِّيَامِ فَجَعْتُمُونَا      بِخَيْرِ النَّاسِ طُرًّا أَجْمَعِينَا  
قَتَلْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا      وَخَيْرَهَا وَمَنْ رَكِبَ السَّفِينَا<sup>(٢)</sup>  
لَقَدْ عَلِمْتَ قُرَيْشٌ حَيْثُ حَلَّتْ      بِأَنَّكَ خَيْرُهَا حَسَبًا وَدِينًا

وإذا نظرنا في معاني الرثاء وجدناها تجمع بين المعاني القديمة من مدح للميت بالشجاعة وتحمل المسؤوليات، والمعاني الجديدة حيث يطلب الشاعر للميت الرحمة ودخول الجنة ويمدحه بمحبة رسول الله له، ومن معاني الرثاء إظهار الأسف لعدم التكافؤ بين القاتل والمقتول ومدح الميت بالتدين.

### شعر الدعوة والفتوح الإسلامية:

حث الإسلام على الدعوة إلى الله كما حث على قتال المشركين. نجد ذلك في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، وقد التزم المسلمون بالدعوة إلى الله والجهاد في سبيله كل بحسب طاقته وبحسب الوسائل المتاحة له، فالمسلم الشجاع يقاتل بسيفه، والشاعر يحمس المسلمين المجاهدين بشعره، وقد ساهم الشعراء في الدعوة إلى الله بأشعارهم كما فعل حسان وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة، فكان شعر هؤلاء خير وسيلة إعلامية للإسلام في ذلك الوقت، فإشادتهم بانتصارات المسلمين في بدر وثباتهم في أحد وصمودهم في الخندق كل ذلك فيه إشارات واضحة بأن المسلم مُعانٌ في قتاله وأن المشرك يسير في طريق الضلال، والشعراء الذين دخلوا في الإسلام متأخرين أسهموا في الدعوة إلى الله، فشعر بجير بن أبي سلمى أثر في أخيه كعب فأسلم، والأبيات التي أرسلها بجير إلى أخيه كعب يدعوه فيها إلى الإسلام هي:

(١) الكامل ٢ / ٧٣٨.

(٢) حيسها: ذلها. والأبيات في الأغاني ١٢ / ٣٢٩.

إلى الله لا العزى ولا اللات وحدهُ      فتنجوا إذا كان النجاءً وتسلمُ  
لدى يوم لا ينجو وليس بمفلتٍ      من النار إلا طاهرُ القلبِ مسلمُ  
فدينُ زُهَيْرٍ وهو لا شيء باطلُ      ودينُ أبي سلمى عليَّ مُحَرَّمُ

وقد أسلم كعب وحسن إسلامه بسبب شعر أخيه بجير، بل إنه صنع قصيدة اشتهرت بـ  
(بانة سعاد) تشتمل على أبيات تشيد بالرسول ﷺ والصحابة.

وقد خرج الصحابة إلى القتال تاركين زوجاتهم وأبناءهم الكبار في السن وأمهاتهم، وقد  
صاحب تلك المواقف أشعار مؤثرة تنبئ عن عمق العقيدة في النفس وتغلغلها في الوجدان، ومن  
الأشعار التي سجلت بعض المواقف قول النابغة الجعدي يخاطب زوجته حين اعترضت على  
خروجه، يقول النابغة:

بأنت تُذَكِّرني بالله قَاعِدَةٌ      والدَّمْعُ يَنْهَلُ من شَأْنِيهِمَا سَبَلًا<sup>(١)</sup>  
يا بنتِ عَمِّي كِتَابُ اللهِ أَخْرَجَنِي      كُرْهًا وَهَلْ أَمْنَعَنَّ اللهُ مَا فَعَلَا  
فإن رَجَعْتُ فَرَبُّ النَّاسِ يُرْجِعُنِي      وإن لَحِقْتُ بِرَبِّي فابْتِغِي بَدَلَا  
مَا كُنْتُ أُعْرَجُ أوْ أَعْمَى فِعْذَرَنِي      أوْ ضَارِعًا من ضَنْي لَمْ يَسْتَطِعْ<sup>(٢)</sup>

وقد صاحب الشعرُ الفتوحَ الإسلامية في العراق وبلاد المشرق، وفي الشام ومصر وبلاد  
المغرب، وكله ينبئ عن الصبر وتحمل المشاق؛ من ذلك ما قاله بشر بن ربيعة الخثعمي في موقعة  
القادسية:

تَذَكَّرْ هَذَا اللهُ وَقَعَ سُيُوفِنَا      بِيَابِ قُدَيْسٍ وَالْمَكْرُ عَسِيرُ<sup>(٣)</sup>  
عَشِيَّةَ وَدَّ الْقَوْمُ لو أن بَعْضَهُمْ      يُعَارُ جَنَاحِي طَائِرٍ فَيَطِيرُ

(١) أسبل الدمع إذا انهمر والاسم السبل.

(٢) الضارع: التحيف. الضنى: المرض. والأبيات في الشعر والشعراء ١/ ٢٩٣.

(٣) قديس: موضع في القادسية.

إِذَا مَا فَرَعْنَا مِنْ قِرَاعِ كَتَيْبَةٍ      دَلَفْنَا لِأُخْرَى كَالْجِبَالِ تَسِيرٌ<sup>(١)</sup>  
تَرَى الْقَوْمَ فِيهَا وَاجْمِينَ كَأَنَّهُمْ      جِمَالٌ بِأَحْمَالٍ لُهُنَّ زَفِيرٌ<sup>(٢)</sup>

وقد اشتهر من شجعان الفتوح شعراء جمعوا بين الشجاعة والشعر، ومن أشهر الشعراء الشجعان القعقاع بن عمرو التميمي، وعمرو بن معد يكرب الزبيدي. وإذا تتبعنا الموضوعات التي قيل فيها شعر الفتوح وجدناها تدور حول الحماسة والرثاء، والحنين إلى الوطن.

---

(١) دلفنا: تقدمنا.

(٢) الوجوم: السكوت على غيظ. والأبيات في الأغاني ٢٤٣/١٥ وبشر بن ربيعة شاعر إسلامي ومن أشهر فرسان القادسية وقد منع سعد بن أبي وقاص عطاءه؛ لأنه لا يحفظ القرآن فقال هذه الأبيات.

## خصائص الشعر في صدر الإسلام

### ( أ ) خصائص المعاني:

تختلف معاني الشعر في عصر صدور الإسلام عنها في العصر الجاهلي، ومن أهم ما يميز تلك المعاني ما يلي:

- ١- تسخير معاني الشعر لخدمة العقيدة الإسلامية وتوسيع دائرة الإسلام.
- ٢- اشتغال الشعر على كثير من معاني القرآن الكريم والحديث الشريف، فحسان رضي الله عنه أخذ معنى الآية الكريمة: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١٢٨﴾ وجعله في هذا البيت:  
عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ يَحِيدُوا عَنِ الْهُدَى حَرِيصٌ عَلَى أَنْ يَسْتَفِيمُوا وَيَهْتَدُوا
- ٣- الابتعاد عن التخبط، فالمعاني تسير في طريق رسمه القرآن ووضحه الرسول ﷺ.
- ٤- التعبير عن تقوى الله وعن الورع الذي يملأ قلوب الشعراء. يقول بجير بن زهير بن أبي سلمى:

إِلَى اللَّهِ لَا الْعُزَى وَلَا اللَّاتِ وَحَدَهُ فَتَنْجُو إِذَا كَانَ النِّجَاءُ وَتَسْلَمُ  
لَدَى يَوْمٍ لَا يَنْجُو وَلَيْسَ بِمَفْلِتٍ مِنَ النَّارِ إِلَّا طَاهِرٌ وَالْقَلْبُ مُسْلِمٌ

على أن معاني الشعر الإسلامي لم تنفصل انفصلاً تاماً عن معاني الشعر الجاهلي فالمعاني التي أهملت في الإسلام هي المعاني التي نفاها الإسلام وأنكرها، أما المعاني التي لم ينفها الإسلام فإنها بقيت متداولة لدى الشعراء في عصر صدر الإسلام؛ فالمدح الخالي من المبالغة موجود عند كعب ابن زهير وحسان وغيرهما، والهجاء الذي يقلل من شأن الكفار وينفرهم من الحالة التي يعيشون فيها موجود عند شعراء الرسول ﷺ، والمعاني الحماسية التي تهدف إلى قتل الكفار وتنشيط المقاتلين من المسلمين موجودة أيضاً في الشعر الإسلامي.

## (ب) خصائص الأسلوب:

كما اختلفت المعاني الشعرية في عصر صدر الإسلام، وتميزت عن العصر الجاهلي، فإن هذا الاختلاف شمل أسلوب الشعر أيضاً. وأهم ما يميز أسلوب الشعر في هذا العصر ما يلي:

- ١- التأثر بأسلوب القرآن الكريم والحديث الشريف.
- ٢- البعد عن الجفاء والغلظة في الأسلوب لوجود العاطفة الإسلامية الرقيقة، مثل الورع والتقوى ومخافة الله.
- ٣- سهولة الألفاظ حيث يفهمها عامة الناس.
- ٤- وجود ألفاظ جديدة في أساليب الشعراء في هذا العصر. مثل: الجنة، النار، الكفار، المشركون، الفاسق...
- ٥- البعد عن الصنعة والتكلف في معظم أساليب الشعر وألفاظه، فحسان رضي الله عنه يضطر إلى الرد على الوفود بشعر مرتجل، وعبد الله بن رواحة يرتجل في شعره، وخير شاهد على ذلك قوله:

خلوا بني الكفار عن سبيله      خلو فكل الخير مع رسوله

## مناقشة

- ١- ما أثر القرآن في اللغة والأدب؟
- ٢- تحدث عن بلاغة الحديث وأثره في اللغة والأدب.
- ٣- تحدث بإيجاز عن موقف الإسلام من الشعر.
- ٤- قارن بين غرضي المدح والهجاء في العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام.
- ٥- اذكر أهم ما يميز معاني الشعر في عصر صدر الإسلام.
- ٦- اذكر خصائص أسلوب الشعر في عصر صدر الإسلام.
- ٧- استحدث غرض جديد للشعر في عصر صدر الإسلام. اذكره، وتحدث عنه.

## نماذج من الشعر في عصر صدر الإسلام

### (١) قصيدة العباس بن مرداس (\*):

- ١- لَعْمِرِي إِيَّيْ يَوْمَ أَجْعَلُ جَاهِدًا      ضِمَارًا لِرَبِّ الْعَالَمِينَ مُشَارِكًا<sup>(١)</sup>
- ٢- وَتَرْكِي رَسُولَ اللَّهِ وَالْأَوْسُ حَوْلَهُ      أَوْلَيْكَ أَنْصَارٌ لَهُ مَا أَوْلَيْكََا؟
- ٣- كَتَارِكِ سَهْلِ الْأَرْضِ وَالْحَزْنَ يَبْتَغِي      لَيْسُ لَكَ فِي غَيْبِ الْأُمُورِ الْمَسَالِكَا
- ٤- فَأَمَنْتُ بِاللَّهِ الَّذِي أَنَا عَبْدُهُ      وَخَالَفْتُ مَنْ أَمْسَى يُرِيدُ الْمَمَالِكَا
- ٥- وَوَجَّهْتُ وَجْهِي نَحْوَ مَكَّةَ قَاصِدًا      وَتَابَعْتُ بَيْنَ الْأَخْشِيِّينَ الْمُبَارِكَا<sup>(٢)</sup>
- ٦- نِيَّ أَنَا بَعْدَ عَيْسَى بِنَاطِقٍ      مِنْ الْحَقِّ فِيهِ الْفَصْلُ مِنْهُ كَذَلِكَ
- ٧- أَمِينًا عَلَى الْفُرْقَانِ أَوْلُ شَافِعٍ      وَآخِرُ مَبْعُوثٍ يُحْيِبُ الْمَلَائِكَا
- ٨- تَلَا فِي عُرَى الْإِسْلَامِ بَعْدَ انْفِصَامِهَا      فَأَحْكَمَهَا حَتَّى أَقَامَ الْمَنَاسِكَا
- ٩- رَأَيْتُكَ يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا      تَوَسَّطْتَ فِي الْقُرْبِيِّ مِنَ الْمَجْدِ مَالِكَا<sup>(٣)</sup>
- ١٠- سَبَقْتَهُمْ بِالْمَجْدِ وَالْجُودِ وَالْعِلَا      وَبِالْعَايَةِ الْقُصُوَى تَفُوتُ السَّنَابِكَا<sup>(٤)</sup>
- ١١- فَأَنْتَ الْمُصَفَّى مِنْ قُرَيْشٍ إِذَا سَمَتَ      غَلَاصِمُهَا تَبْغِي الْقُرُومَ الْفُؤَارِكَا<sup>(٥)</sup>

(\*): تعريف بالشاعر: هو العباس بن مرداس بن أبي عامر السلمى، شاعر فارس، وأمه الخنساء الشاعرة، أسلم في السنة التي فتحت فيها مكة، وقال هذه القصيدة عند ما دخل الإيمان قلبه وتوجه للرسول ﷺ، وقد توفي العباس في خلافة عمر سنة ١٨هـ.

(١) ضمارة: صنم لبني سليم.

(٢) الأخشيان: جبلان بمكة، وهما أبو قبيس وقيقعان.

(٣) يعني مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمه بن مدركة بن إلياس بن مضر.

(٤) السنايك: حوافر الخيل.

(٥) الغلاصم: جمع غلصمة وهي أصل اللسان وتطلق على الجماعة أو السادة. والقروم: جمع قرم وهو السيد والفوارك: جمع فارك وهو المبعوض

لزوجته. يريد أن نساءهم لا تلهيهم عن عظام الأمور. والقصيدة في الأغاني ١٤ / ٣٠٤.

## (٢) قصيدة كعب بن زهير\* (بانت سعاد):

- ١- بانت سعادُ فقلبي اليومَ مَتَّبُولُ  
 ٢- وما سعادُ غداةَ البَيْنِ إِذِ رَحَلُوا  
 ٣- أُنْبِئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي  
 ٤- مهلاً هداك الذي أعطاك نافلةَ آلِ  
 ٥- لا تَأْخُذْنِي بِأَقْوَالِ الوُشَاةِ وَلَمْ  
 ٦- إِنَّ الرَّسُولَ لَنورٍ يُسْتَضَاءُ بِهِ  
 ٧- في عُصْبَةٍ من قُرَيْشٍ قالَ قائلُهُمْ  
 ٨- زَالُوا فَمَازَالَ أَنْكَاسٌ ولا كُشْفٌ  
 ٩- شَمُّ العَرانِينِ أَبْطالٌ لَبُوسُهُمْ  
 ١٠- لا يَفْرَحُونَ إِذا نالَتْ رِمَاحُهُمْ  
 ١١- لا يَقَعُ الطَّعْنُ إِلا في نُحُورِهِمْ
- مُتَيِّمٌ إِثْرَها لَمْ يُفَدَ مَكْبُولُ<sup>(١)</sup>  
 إِلاَّ أَغْنَى غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ<sup>(٢)</sup>  
 والعَفْوُ عندَ رسولِ اللَّهِ مَأْمُولُ  
 قُرْآنٌ فِيها مَواعِظٌ وَتَفْصِيلُ  
 أَذْنِبُ وَإِنْ كَثُرَتْ فِي الأَقاويلِ<sup>(٣)</sup>  
 مُهَنَّدٌ من سَيُوفِ اللَّهِ مَسْئُولُ<sup>(٤)</sup>  
 يَبْطُنُ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا زُولُوا<sup>(٥)</sup>  
 عندَ اللِّقَاءِ ولا مِيلٌ مَعازيلُ<sup>(٦)</sup>  
 من نَسِجِ داوُدَ في الهِجاءِ سَراييلُ<sup>(٧)</sup>  
 قَوماً وَلَيْسُوا مَجازِيعاً إِذا نِيلُوا<sup>(٨)</sup>  
 ومالَهُمُ عن حِياضِ المَوتِ تَهليلُ<sup>(٩)</sup>

- (\*) تعريف بالشاعر: كعب بن زهير هو ابن زهير بن أبي سلمى الشاعر المشهور في الجاهلية، وكعب من قبيلة مزينة إحدى قبائل مضر وقد مدح بهذه القصيدة النبي ﷺ أما وفاة كعب فهي في سنة ٢٦هـ.
- (١) بانت: بعدت وفارقت، وسعاد اسم امرأة. متبول: مصاب بتبل وهو الهلاك. متيم: مدلل. إثرها: بعدها. لم يفد: لم تقدم فدية لفكه من الأسر. مكبول: مقيد ومحبوس.
- (٢) البين: البعد والفراق. أغن: الأغن من الغزلان الذي في صوته غنة والغنة صوت يخرج من الخياشيم. غضيب الطرف: فاتره والغضب: الكسر والفتور. مكحول: شديد سواد شعر الجفون.
- (٣) الوشاة: جمع واش وهو النمام الكاذب.
- (٤) مهند: منسوب إلى الهند. مسلول: مخرج من جرابه.
- (٥) العصبة: الجماعة من الناس ما بين العشرة إلى الأربعين. زولوا: اذهبوا واخرجوا مهاجرين من مكة إلى المدينة.
- (٦) أنكاس: جمع نكس وهو الرجل الضعيف، الكشف: جمع أكشف وهو الذي لا ترس معه. ميل: جمع مائل وهو من لا يثبت على السرج. ومعازيل: جمع أعزل وهو من لا رمح معه.
- (٧) شم العرائن: شم: جمع أشم، والعرائن جمع عرنين وهو الأنف. ومعنى أشم: عالي الأنف.. من نسج داود: يقصد الدروع لأن أول من صنعها داود. الهيجاء: الحرب. سرايل: جمع سربال وهو القميص أو الدرع والمقصود هنا الدرع.
- (٨) مجازيع: جمع مجزاع وهو الكثير الجزع.
- (٩) النحور: جمع نحر وهو أعلى الصدر. حياض الموت: ميادين الحرب. تهلل: نكوص وجبن وخوف. والقصيدة في جمهرة أشعار العرب ٧٨٨/٢.

### (٣) قصيدة النابغة الجعدي (\*):

- ١- خَلِيلِيَّ عُوْجَا سَاعَةً وَتَهَجَّرَا      وَلَوْ مَا عَلَى مَا أَحْدَثَ الدَّهْرُ أَوْ ذَرَا<sup>(١)</sup>
- ٢- وَلَا تَجْزَعَا إِنَّ الْحَيَاةَ قَصِيرَةٌ      فَخِفَّا لِرَوَعَاتِ الْحَوَادِثِ أَوْ قِرَا<sup>(٢)</sup>
- ٣- وَإِنْ جَاءَ أَمْرٌ لَا تُطِيقَانِ دَفْعَهُ      فَلَا تَجْزَعَا مِمَّا قَضَى اللَّهُ وَاصْبِرَا
- ٤- أَلَمْ تَرَيَا أَنَّ الْمَلَامَةَ نَفَعَهَا      قَلِيلٌ إِذَا مَا الشَّيْءُ وَلَّى وَأَدْبِرَا
- ٥- تَهِيْجُ الْبُكَاءِ وَالتَّدَامَةَ ثُمَّ لَا      تُعَيِّرُ شَيْئًا غَيْرَ مَا كَانَ قُدْرًا
- ٦- أَثِيْتُ رَسُولَ اللَّهِ إِذْ جَاءَ بِالْهُدَى      وَيَتْلُو كِتَابًا كَالْمَجْرَةِ يُرَا<sup>(٣)</sup>
- ٧- وَجَاهَدْتُ حَتَّى مَا أَحْسُ وَمَنْ مَعِي      سُهَيْلًا إِذَا مَا لَاحَ ثُمَّتَ غَوْرًا
- ٨- أَقِيمْ عَلَى التَّقْوَى وَأَرْضِيْ بِفِعْلِهَا      وَكُنْتُ مِنَ النَّارِ الْمُخَوَّفَةِ أَوْجِرَا<sup>(٤)</sup>
- ٩- وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ      بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يَكْدَرَا
- ١٠- وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ      حَلِيمٌ إِذَا مَا أُوْرِدَ الْأَمْرَ أَصْدَرَا
- ١١- فَفِي الْحِلْمِ خَيْرٌ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ      وَفِي الْجَهْلِ أَحْيَانًا إِذَا مَا تَعَدَّرَا

(\*) تعريف بالشاعر: هو قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة الجعدي، وسمي النابغة، لأنه نبغ في الشعر بعد أن بلغ ثلاثين سنة. وقد توفي بأصبهان سنة ٥٠هـ.

(١) تمجرا: سيرا في الهاجرة وهي نصف النهار عند زوال الشمس إلى العصر. ذرا: مخففة من ذرا، وهي مرادفة لأحدث.

(٢) قرا: مصدرها الوقار وهو الرزانة والحلم.

(٣) المجرة: نجوم مجتمعة في السماء يصدر عنها نور.

(٤) أوجر: خائف.

(٤) قصيدة متمم بن نويرة (\*):

- ١ - أَقُولُ وَقَدْ طَارَ السَّنَا فِي رَبَابِهِ  
٢ - سَقَى اللَّهُ أَرْضاً حَلَّهَا قَبْرُ مَالِكٍ  
٣ - تَحِيَّتُهُ مِنِّي وَإِنْ كَانَ نَائِيًا  
٤ - فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ فَرَقْنَ بَيْنَنَا  
٥ - وَعِشْنَا بِخَيْرٍ فِي الْحَيَاةِ وَقَبْلَنَا  
٦ - فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكًا  
٧ - تَقُولُ ابْنَةُ الْعَمْرِيِّ: مَالِكٌ بَعْدَمَا  
٨ - فَقُلْتُ لَهَا: طُولُ الْأَسَى إِذْ سَأَلْتَنِي  
٩ - وَقَدْ بَنَى أُمَّ تَوَلَّوْا وَلَمْ أَكُنْ  
١٠ - وَلَكِنِّي أَمْضِي عَلَى ذَلِكَ مُقَدِّمًا  
١١ - قَعِيدِكَ أَلَّا تُسْمِعِينِي مَلَامَةً  
١٢ - وَحَسْبُكَ أَنِّي قَدْ جَهَّدْتُ فَلَمْ أَجِدْ
- بَجَوْنٍ يَسُحُّ الْمَاءَ حَتَّى تَرِيْعَا<sup>(١)</sup>  
ذِهَابَ الْعَوَادِي الْمُدْحِنَاتِ فَأَمْرَعَا<sup>(٢)</sup>  
وَأَمْسَى تُرَابًا فَوْقَهُ الْأَرْضُ بُلْقَعَا<sup>(٣)</sup>  
فَقَدْ بَانَ مُحَمَّدًا أَخِي يَوْمَ وَدَّعَا  
أَصَابَ الْمَنِيَا رَهْطَ كِسْرَى وَتُبَّعَا  
لِطُولِ اجْتِمَاعِ لَمْ نَبْتَ لَيْلَةً مَعَا  
أَرَاكَ قَدِيمًا نَاعِمَ الْوَجْهِ أَفْرَعَا؟<sup>(٤)</sup>  
وَلَوْعَةً حُزْنٍ تَتْرُكُ الْوَجْهَ أَسْفَعَا<sup>(٥)</sup>  
خِلَافَهُمْ أَنْ أَسْتَكِينَ فَأَخْضَعَا  
إِذَا بَعْضُ مَنْ يَلْقَى الْخُطُوبَ  
وَلَا تُنْكِي قَرْحَ الْفُؤَادِ فَيَجْعَا<sup>(٦)</sup>  
يَكْفِي عَنْهُ لِلْمَنِيَّةِ مَدْفَعَا

(\*) تعريف بالشاعر: هو متمم بن نويرة بن جهمرة بن شداد، من بني يربوع من تميم، كان قصياً أعور وقد قال هذه القصيدة في رثاء أخيه مالك الذي قتل في حروب الردة. وقد توفي متمم سنة ٣٠هـ.

- (١) السنا: ضوء البرق. الرباب: السحاب. الجون: السحاب الأسود. تريع: تردد.  
(٢) الذهاب: جمع ذهبة وهي المطرة الغزيرة. الغوادي: التي تغدو بالمطر. المدحجات: السحاب التي تغطي السماء فلا يرى. أمرع: أخصب.  
(٣) أرض بلقع: لا أحد فيها ولا نبات.  
(٤) ابنه العمري: زوجته. الأفرع: الكثير شعر الرأس.  
(٥) أسفع: أسود ضارب إلى الحمرة.  
(٦) قعيدك: أصله قعيدك الله، كقولك نشدتك الله وهو من إيمان العرب. تنكبي: من قولهم نكأت القرحة إذا قشرتها. ييجع: لغة تميم، ولغة قريش: يوجع.

## (٥) قصيدة كعب بن مالك (\*):

- ١- مَنْ مَبْلَغُ الْأَنْصَارِ عَنِّي آيَةً  
رُسُلًا تَقْصُرُ عَلَيْهِمُ التَّبْيَانَا
- ٢- أَنْ قَدْ فَعَلْتُمْ فَعْلَةً مَذْكُورَةً  
كَسَتِ الْفُضُوحَ وَأَبَدَتِ الشَّنَانَا<sup>(١)</sup>
- ٣- بِقَعُودِكُمْ فِي دُورِكُمْ وَأَمِيرِكُمْ  
نُحْشَى ضَوَاحِي دَارِهِ النَّيرَانَا
- ٤- بَيْنَا يُرْجَى دَفْعُكُمْ عَن دَارِهِ  
مِلَّتْ حَرِيقًا كَابِيًا وَدُخَانَا<sup>(٢)</sup>
- ٥- حَتَّى إِذَا خَلَصُوا إِلَى أَبْوَابِهِ  
دَخَلُوا عَلَيْهِ صَائِمًا عَطْشَانَا
- ٦- يُعْلُونَ قُلَّتَهُ السُّيُوفَ وَأَنْتُمْ  
مُتَلَبِّثُونَ مَكَائِكُمْ رِضْوَانَا<sup>(٣)</sup>
- ٧- اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّي لَمْ أَرْضَهُ  
لَكُمْ صَنِيعًا يَوْمَ ذَاكَ وَشَانَا
- ٨- يَالْهَفَ نَفْسِي إِذْ يَقُولُ: أَلَا أَرَى  
نَفْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ لِي أَعْوَانَا
- ٩- إِنِّي رَأَيْتُ مُحَمَّدًا إِخْتَارَهُ  
صَهْرًا وَكَانَ يَعُدُّهُ خُلَصَانَا<sup>(٤)</sup>
- ١٠- فَلَوْ أَنْتُمْ مَعَ نَصْرِكُمْ لِنَبِيِّكُمْ  
يَوْمَ اللَّقَاءِ نَصَرْتُمْ عُثْمَانَا
- ١١- أَنْسَيْتُمْ عَهْدَ النَّبِيِّ إِلَيْكُمْ  
وَلَقَدْ أَلْظَ وَوَكَّدَ الْأَيْمَانَا<sup>(٥)</sup>

(\*) تعريف بالشاعر: هو كعب بن مالك بن عمرو الخزرجي، وهو من شعراء النبي ﷺ ومن الذين أجدوا عثمان ودافعوا عنه، وقد ألقى هذه القصيدة التي يونب فيها الأنصار على تقاعسهم عن نصرته عثمان ويؤبن فيها عثمان رضي الله عنه، ألقاها في مجلس الأنصار في مسجد الرسول ﷺ، فلما سمعوا ما قال بكوا واستغفروا الله، وقد توفي كعب سنة ٥٠ هـ.

(١) الشنآن: البغضاء.

(٢) كابيًا: دخان وفحم. أي إن هذا الحريق الضخم اختلط دخانه بفحمه.

(٣) رضوانًا: راضون.

(٤) الخلصان: الصديق الخالص.

(٥) أظ: ألح. والقصيدة في الأغاني ٢٢٨/١٦.

## دراسة مُفصَّلة لبعض شعراء صدر الإسلام:

### حسان بن ثابت

#### حياته:

حسان بن ثابت ينتسب إلى الخزرج فهو حسان بن ثابت بن المنذر من بني النجار أحوال النبي ﷺ ثم من الخزرج، والخزرج قبيلة قحطانية. ولد في يثرب قبل مولد الرسول ﷺ بثمان سنوات وعاش عمراً مديداً في الجاهلية.

وحسان شاعر مشهور في الجاهلية اتصل بالغساسنة ومدحهم وأخذ جوائزهم، واتصل بالمناذرة ومدحهم وأخذ جوائزهم، وقد كان بين الأوس والخزرج أيام مشهورة في الجاهلية ولذلك نجد حساناً يدافع عن الخزرج ويهجو الأوس. وبعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة كان حسان هو شاعر الإسلام الأول؛ فقد دافع عن الإسلام بلسانه دفاعاً مجيداً حتى أصبح زعيم المناقضات الشعرية بين المسلمين والمشركين. وبملك حسان حصناً وبستاناً في المدينة، وحصنه من أجود الحصون، وقد كان النبي ﷺ يضع أهله في حصن حسان عندما يخرج للغزو. وبعد وفاة الرسول ﷺ كان الصحابة يقدرونه ويحلونه جزاء ما قدم من الأعمال الصالحة في الدفاع عن الإسلام.

وقد عاصر حسان حروب الردة، وسمع ورأى في خلافة عمر بن الخطاب كيف قوض المسلمون مملكتي غسان في الشام والمناذرة في العراق اللتين كان ينتجعهما طلباً للعطاء في الجاهلية. وقد امتد به العمر حتى شاهد كيف يزيل الإسلام دولة الفرس العظيمة وكيف يقهر المسلمون دولة الروم في الشام ومصر. فحسان من المعمرين، فقد عاش ستين سنة في الجاهلية وستين سنة في الإسلام، وتوفي في خلافة معاوية سنة ٥٤هـ.

#### شعره:

حسان بن ثابت امتد به العمر مئة وعشرين عاماً، فقال أشعاراً كثيرة في هذا العمر الطويل، وقد عرف عنه في الجاهلية أنه من أشعر أهل القرى، وعرف عنه في الإسلام أنه شاعر الرسول، وديوانه يجمع شعره الجاهلي والإسلامي، وستناول فيما يلي كلا النوعين من شعره.

## ( أ ) شعره في الجاهلية

كان حسان بن ثابت في العصر الجاهلي شاعر الخزرج يدافع عنهم ويرد على شعراء الأوس، وقد اشتهر شعره في العصر الجاهلي، وتعدى يثرب، بل إنه وصل إلى العراق والشام وسوق عكاظ، وقد قال حسان الشعر في العصر الجاهلي في الأغراض التالية:

### ١- المدح:

يعتبر مدح حسان في الجاهلية من أجمل شعره وأقواه بل إن مدحه في الجاهلية يمثل شعره القوي في أسلوبه ومعانيه، ومن أجود ما قال في المدح قوله في الغساسنة:

لله دَرٌّ عِصَابَةٌ نَادَمْتُهُمْ      يوماً بِجِلْقٍ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ<sup>(١)</sup>  
يمشون في الحُلَلِ الْمَضَاعِفِ نَسْجُهَا      مَشِيَ الْجَمَالِ إِلَى الْجَمَالِ الْبُزْلِ<sup>(٢)</sup>  
بيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابُهُمْ      شَمُّ الْأَنْوُفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ

### ٢- الفخر:

فخر حسان في الجاهلية لا يقل جودة عن المدح، فهو الغرض الثاني الذي يلي المدح، وأسلوبه في الفخر يشبه أسلوبه في المدح، ومن أجود ما قال في الفخر قوله:

لنا حاضرٌ فَعَمٌ، وبإدٍ كأنه      شَمَارِيخُ رَضْوَى عِزَّةً وَتَكْرُمًا<sup>(٣)</sup>  
لنا الجَفَنَاتُ العُرُّ يَلْمَعْنَ بالضُّحَى      وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا<sup>(٤)</sup>  
فكُلُّ مَعَدٍّ قَدْ جَزَيْنَا بِصُنْعِهِ      فَبُؤْسَى بُبُؤْسَاهَا، وبِالْتُّعْمِ أَنْعَمًا

(١) حلق: موضع قرب دمشق.

(٢) الجمال البزل: جمع بازل وهو الجمل الذي أكمل ثماني سنوات ودخل التاسعة.

(٣) فعم: كثير. شماریخ: أعالي الجبل. رضوى: جبل قرب ينبع.

(٤) الجفنات: القصاع. الغر: البيض.

### ٣- الهجاء:

قال حسان أشعاراً كثيرة في الهجاء وخصوصاً في هجاء الأوس، فقد كانت الحروب لا تنقطع بين الأوس والخزرج، وبما أن قيس بن الخطيم شاعر الأوس يهجو الخزرج فإن حسان لا يألو جهداً في هجاء الأوس، ومعانيه في الهجاء هي الجبن والهروب من المعارك وذلة الجدود وغير ذلك من المعاني التي نجدتها في هجائه.

### ٤- الغزل:

ومن الأغراض التي قال حسان فيها الشعر في جاهليته الغزل، وكان يستخدمه وسيلة لتأدية غرضه الشعري، فهو يكون في مقدمة القصيدة في الغالب، ومن غزله قوله:

تذكرت ليلي وأئى بها      إذا قُطعتُ منك أقرانها<sup>(١)</sup>  
مهاةً من العينِ تمشي بها      وتتبعها ثم غزلانها  
وقفتُ عليها فساءلتها      وقد ظعن الحيُّ ما شائها  
فعيّت وجاووني دوائها      يمارع قلبي أعوانها

(١) الأقران: جمع قرن وهو الحبل.

## (ب) شعره في الإسلام

حسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ، وشعره في الإسلام يسير وفق العقيدة الإسلامية، فمن أول ما قال في الإسلام قوله:

شهدتُ بإذن الله أن محمداً رسولُ الذي فوقَ السمواتِ من علِّ  
وأن أخوا الأحقافِ إذ يعذلونهُ يقومُ بدينِ الله فيهِمُ فيَعْدِلُ<sup>(١)</sup>  
وأن أبا يحيى ويحيى كلاهُما له عملٌ في دينه مُتَقَبَّلُ<sup>(٢)</sup>  
وأنَّ الذي عادى اليهودُ ابنَ مريمَ رَسولٌ أتى من عندِ ذي العرشِ مُرسلُ

وقد كان النبي ﷺ يجل حسان ويقدره بل إنه يستمع إلى شعره في المسجد، وقد قال الشعر في الإسلام في الأغراض القديمة ولكنه سخر أغراضه في الإسلام لخدمة الإسلام ونشره والرد على مناوئيه، ومن الأغراض التي قال فيها الشعر في إسلامه: المدح، والهجاء والثناء.

### ١- المدح:

لقد مدح حسان الرسول ﷺ ومدح المهاجرين وخص رجالاً من الصحابة بمدائح رائعة، وإذا تتبعنا المعاني التي يختارها لمدائحه وجدناها معاني إسلامية؛ فهو يمدح النبي ﷺ بالنبوة وباقتران اسمه باسم الله في الأذان، وبتطهيره الأرض من الأصنام؛ يقول حسان في ذلك:

أغرُّ، عليه للنبوة خائماً من الله مشهُودٌ يلوحُ ويُشْهَدُ  
وضمَّ الإله اسمَ النبي إلى اسمه إذا قال في الخمسِ المؤذنُ أشْهَدُ  
وشقَّ له من اسمه ليُجَلِّه فذو العرشِ محمودٌ وهذا محمدُ  
نبيُّ أئاناً بعدَ يأسٍ وفترَةٍ من الرُّسلِ والأوثانِ في الأرضِ تُعْبَدُ  
فأمسى سراجاً مُسْتَنيراً وهادياً يلوحُ كما لاحَ الصَّقيلُ المَهْتَدُ

(١) هو: هود عليه السلام وهو المشار إليه في قوله تعالى: ﴿وَأذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ والأحفاف الجزء الجنوبي الشرقي من الربع الخالي.

(٢) أبو يحيى هو زكريا عليهما السلام.

وأندركنا ناراً وبشرَ جنَّةً      وعلمنا الإسلامَ فاللهُ نحمدُ  
وبجانب المعاني الإسلامية نجد لحسان معاني قديمة كما في قصيدته التي رد بها على وفد بني  
تميم والتي مطلعها:

إنَّ الذوائبَ من فُهرٍ وإخوتهم      قد بينوا سُنَّةً للناسِ تُبَّعُ  
وكما في قصيدته التي يمدح بها الزبير بن العوام والتي يقول فيها:  
هو الفارسُ المشهورُ والبطلُ الذي      يصولُ إذا ما كانَ يومٌ مُحجَّلُ

## ٢- الهجاء:

معظم هجاء حسان في قريش قبل أن يدخلوا في الإسلام فقد قال فيهم:  
أما قريشٌ فإني لستُ تاركهم      حتى ينيبوا من العيَّاتِ بالرَّشَدِ  
ويتركوا اللاتَ العزى بمعزلة      ويسجدوا كلُّهم للواحدِ الصَّمَدِ  
ويشهدوا أن ما قال الرسولُ لهم      حقٌ ويوفوا بعهدِ الله في سدِّ  
وقد أذن النبي ﷺ لحسان بهجاء المشركين ودعا له حيث قال: " اللهم أيده بروح القدس "  
وقد استمع النبي ﷺ إلى هجائه ثم قال: " لهذا أشدُّ عليهم من وقع النبل " وفي حديث عنه ﷺ أنه  
قال: " أمرتُ عبد الله بن رواحة بهجاء قريش فقال وأحسن، وأمرتُ كعب بن مالك فقال  
وأحسن، وأمرتُ حسان بن ثابت فشفى واشتفى ". وكان حسان لا يهجو قريشاً بالكفر وإنما  
يهجوهم بالهزائم في الحرب، والطعن في أنسابهم، وقد كان النبي ﷺ يقول: " اهجهم وجريمل  
معك"، وكان يرسله إلى أبي بكر ليخبره بأنساب قريش. وكان هجاء حسان قاسياً فقد بكى  
الحارث بن عوف المري حين قال فيه حسان:

يا حارٍ مَنْ يَعْدُرُ بِذِمَّةِ جَارِهِ      مِنْكُمْ فَإِنَّ مُحَمَّدًا لَمْ يَعْدُرِ  
إِنْ تَعْدُرُوا فَالْعَدْرُ مِنْكُمْ شَيْمَةٌ      وَالْعَدْرُ يَنْبُتُ فِي أَصُولِ السَّخْبِرِ

واعتذر الحارث بن هشام عن فراره في يوم بدر وترك أخيه أبي جهل يقتل؛ لأن حسان رضي  
الله عنه قال فيه:

إِنْ كُنْتُ كَاذِبَةً الَّذِي حَدَّثْتَنِي      فَجَعَلْتِ مَنْجَى الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ  
تَرَكِ الْأَحِبَّةَ أَنْ يُقَاتِلَ دُونَهُمْ      وَجَعَلْتِ بِرَأْسِ طِمْرَةٍ وَلِجَامٍ<sup>(١)</sup>

### ٣- الرثاء:

لحسان رضي الله عنه قصائد في رثاء الرسول ﷺ تعبر عن اللوعة والحزن ولكن تلك القصائد لا تصل إلى مستوى الحدث الكبير وهو موت الرسول ﷺ، ومن أجود مرثيته في الرسول ﷺ قصيدته التي مطلعها:

بطيبة رسم للرسول ومعهد      منير، وقد تعفو الرسوم وتهمد  
وأيضاً قصيدته التي مطلعها:

ما بال عينك لا تنام كأنما      كحلت ماقيها بكحل الأرماد

وقد رثى حسان أبا بكر وذكر موقفه الذي لا ينسى حين رافق النبي ﷺ في هجرته، وقد رثى عثمان بمرث مخزنة، ومعظم رثاء حسان مشتمل على المواقف الإسلامية الخالدة التي يتحلى بها المرثي.

وقد أحسن حسان في الاعتذار حيث اعتذر لعائشة رضي الله عنها عندما نسب إليه كلام لم يقله، والأبيات التي قالها في الاعتذار تبين لنا أن حسان من المبرزين في هذا الغرض يقول رضي الله عنه:

حصان رزان ما نزن بريية      وتصبح غرثي من لحوم العوافل<sup>(٢)</sup>  
فإن كنت قد قلت الذي قد زعمتم      فلا رفعت سوطي إلي أناملي  
وكيف وودى من قديم ونصرتي      لآل رسول الله زين المحافل

هذه هي الأغراض التي طرقها حسان في الجاهلية والإسلام، فمعانيها مختلفة حيث تبرز المعاني الإسلامية في شعره الإسلامي، كما تظهر معاني الجاهلية في شعره الجاهلي.

(١) الطمرة: المستفزة للوثب والعدو من أنثى الجياد.

(٢) حصان: عفيفة. رزان: ذات وقار. نزن: تتهم. غرثي: حائعة: أي إنما لا تغتاب النساء.

## قصيدة حسان بن ثابت في رثاء الرسول ﷺ

- ١- بطيبة رسم للرسول ومعهد
  - ٢- ولا تُمحي الآيات من دار حرمة
  - ٣- وواضح آيات وباقي معالم
  - ٤- بها حُجراتٌ كان ينزلُ وسَطَها
  - ٥- معالمٌ لم تُطمسْ على العهدِ أيها
  - ٦- عرفتُ بها رسمَ الرسولِ وعهده
  - ٧- ظللتُ بها أبكي الرسولَ فأسعدتُ
  - ٨- تذكّرُ آلاءَ الرسولِ، وما أرى
  - ٩- مُفجعةً قد شفها فقد أحمِدُ
  - ١٠- أطالتُ وقوفاً تذرِفُ العينُ جهدها
  - ١١- فبوركتَ يا قبرَ الرسولِ وبوركتُ
- منيرٌ وقد عفُو الرُسومُ وتهمدُ  
بها منبرُ الهادي الذي كان يصعدُ  
وربعٌ له فيه مُصلّى ومَسجِدُ  
من الله نورٌ يُستضاءُ ويوقدُ  
أثاها البلى فالآيُ منها تجددُ  
وقبراً به واره في الثربِ ملحدُ  
عيونٌ ومثلاها من الجفنِ تُسعدُ  
لها مُحصياً نفسي فننسي تبلدُ  
فظللتُ لآلاءِ الرسولِ تُعددُ  
على طللِ القبرِ الذي فيه أحمَدُ  
بلادٌ توى فيها الرشيْدُ المسدُدُ

### شرح الأبيات:

- (١) طيبة: المدينة المنورة. رسم: أثر باقٍ المعهد: المنزل المعروف. تعفو: تزول. تهمد: تبلى. إذا كان رسول الله ﷺ قد اختاره الله إلى جواره فإن آثاره باقية في المدينة يحيط بها النور الذي يبيقها واضحة إذا زالت الآثار الأخرى وانطمست.
- (٢) الآيات: العلامات. دار الحرمة: ما لا يحل انتهاكه والآثار معرضة للزوال. ولكن آثار الرسول ﷺ في دار لا يحل انتهاكها وهي المدينة المنورة حيث تشتمل على المنبر الذي كان مصدر إشعاع وهداية للبشر.
- (٣) الربع: المنزل. إن العلامات الدالة على مكان إقامته ﷺ واضحة، فمنزله ومسجده وأماكن صلاته كلها تذكر بما للنبي ﷺ من المنزلة في نفوس المسلمين.

(٤) إن طيبة تضم حجرات الرسول ﷺ التي كان يشع منها نور الإيمان فيهدي الناس إلى الخير ويبيدهم عن الشر.

(٥) تطمس: تحي. العهد: المعرفة. البلى: القدم

إذا كان الموت قد خيم على تلك المعالم حيث دفن الرسول ﷺ فإن علامات الإيمان باقية وهي تتجدد يوماً بعد يوم.

(٦) واره: أخفاه وستره.

لقد عرفت الرسول حياً يرشدنا إلى الخير، وعرفته ميتاً تعظنا آثاره ورسومه فقبره يذكرنا بما كان يقوله لنا في حياته.

(٧) لقد استولى عليّ الحزن عندما طفت بالأماكن التي كان يرتادها رسول هذه الأمة فقد انهمرت الدموع من عيني، ومثل عيني تواتي بالدموع وتسعف به.

(٨) آلاء: نعم. تبلد: تتحير.

كيف لا ينهمر الدمع بغزارة على نبي حباه الله من النعم ما لا يعد ولا يحصى، فلو أردت أن أعد تلك النعم لما استطعت لها عدداً.

(٩) شفها: يقال شفّه المهم أي أهزله.

إذا كانت نفسي قد أصابتها الأرزاء، فإن هذه المصيبة التي حلت بنا أعظم من أيّ مصيبة ومما يدل على ذلك هذا المهم الذي أهزل جسمي فلم يبق أمامي إلا أن أعدد نعم الرسول ﷺ.

(١٠) تذرف: تسيل الدمع. جهدها: طاقتها أي أكثر ما تستطيع. طلل: هو الشاحص من آثار الديار.

(١١) المسدد: الذي وفقه الله للسداد والصواب.

وإذا كان لي من دعاء لقبر نبينا وللبلد الذي يضم ذلك القبر فإنني أطلب من الله أن ينعم على تلك بالخير العميم والبركة الدائمة.

## كعب بن زهير

### حياته:

هو كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني، نشأ وعاش في قبيلة غطفان مع أبيه زهير، ومساكنهم فيما يعرف اليوم بعقلة الصقور وما حولها من الناحية الغربية حتى ضواحي يثرب من الناحية الشرقية، وكان كعب يتجول في هذه البلاد مع أخيه بجير ويرعيان أغنامهما، وقد سمعا بأمر الرسول ﷺ، وبينما كعب وأحوه بجير يقيمان في مكان يعرف بأبرق العزاف وهو أقرب موضع إلى المدينة من بلاد غطفان قال بجير لكعب: اثبت في الغنم حتى آتي هذا الرجل - يعني النبي - فأرى ما عنده فثبت كعب، وذهب بجير والتقى بالرسول ﷺ فدخل قلبه الإيمان وأسلم وبقي مع الرسول ولم يعد إلى كعب، وعندما علم كعب بخبر بجير أرسل إليه هذه الأبيات:

ألا أبلغاً عني بجيراً رسالةً      فهل لك فيما قلتَ ويحك هل لكأ  
سقاك بها المأمونُ كأساً رويّةً      وأنهلك المأمونُ منها وعلكأ  
ففارقت أسباب الهدى واتبعته      على أيّ شيءٍ - ويب غيرك - ذلكأ<sup>(١)</sup>  
على مذهبٍ لم تُلّفِ أمأ ولا أبأ      عليه ولم تعرفِ عليه أخالكأ

فلما قرأ بجير هذه الأبيات أخبر النبي ﷺ بما جاءه من كعب، فغضب النبي ﷺ وأهدر دمه

وقد رد بجير على كعب بالأبيات التالية:

فمن مبلغ كعباً فهل لك في التي      تلوم عليها باطلاً وهي أحزمُ  
إلى الله لا العزى ولا اللات وحده      فتنجوا إذا كان النجاء وتسلمُ  
لدى يوم لا ينجو وليس بمفلتٍ      من النار إلا طاهر القلب مسلمُ  
فدين زهير - وهو لا شيء - باطلٌ      ودين أبي سلمى عليّ محرمٌ

(١) ويب غيرك: هلكت مثل غيرك.

وقال في رسالة بعث بها إليه: إن النبي ﷺ قتل رجلاً ممن آذوا الإسلام والمسلمين وإني أنصحك بالإسلام، وقد أخبر بجير كعباً بأن الرسول ﷺ يقبل إسلام المرء ولا ينظر إلى ماضيه. وعندما ضاقت الأرض بكعب أقبل على الرسول ﷺ مسلماً في أول السنة التاسعة من الهجرة، ويقول كعب: عندما وصلت إلى باب المسجد أنخت راحتي ودخلت المسجد فوجدت الناس حلقات حول الرسول ﷺ فعرفت الرسول بصفته فدنوت منه وقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، الأمان يا رسول الله، قال: من أنت؟ قلت: كعب بن زهير، قال: الذي يقول ما يقول! ثم عفا الرسول ﷺ عنه، واستأذنه كعب ثم ألقى قصيدته (بانت سعاد) التي مطلعها:

بانت سعادُ فقلبي اليوم متبولٌ      مُتيمٌ إثرها لم يُفدَ مكبولٌ

وقد استمع النبي ﷺ إلى قصيدته واستحسنها فخلع عليه بردته، وهي شملة يشتمل بها الرسول ﷺ وقد توفي كعب سنة ٢٦هـ.

### شعره:

شعر كعب بن زهير من أجود الشعر فقد جمع بين الطبع والتنقيح، أما الطبع فإنه ينتسب إلى أسرة فيها كثير من الشعراء والشاعرات، فوالده زهير شاعر مشهور، وجدته ربيعة بن رياح شاعر، وأخوه بجير شاعر، وابنه عقبة شاعر، وعمته سلمى شاعرة، وعمته الخنساء شاعرة، وقد اعتنى به والده منذ طفولته فعلمه الشعر، ولما رأى والده أنه يرغب في قول الشعر أراد أن يختبره فأخذه على ظهر جمل وبدأ زهير يقول البيت من الشعر ثم يطلب من ابنه كعب أن يأتي ببيت بعده، فلا يلبث كعب أن يأتي بالبيت المطلوب فاطمأن زهير إلى أن ابنه شاعر وأنه يستطيع أن يقول الشعر الجيد.

### ( أ ) شعره في الجاهلية:

اشتهر كعب في الجاهلية، وعُدَّ من شعرائها المقدمين، وقد قال الشعر في أغراض مختلفة منها: الفخر؛ فقد فخر بشعره وبأصله في مزينة، وقال في الهجاء فقد كان يهجو زيد الخيل، ثم هجا المسلمين، وخص أخاه بجيراً ببعض الهجاء، وقال في الغزل أيضاً، وكان يبدأ به قصائده، والوصف، ووصفه قريب من وصف والده زهير.

والمعاني التي قال فيها شعره في الجاهلية هي المعاني المتداولة بين الشعراء. أما أسلوبه فقد اشتهر بالتنقيح حيث سار على طريقة أبيه في اختيار الألفاظ وجودة سبكها.

### (ب) شعره في الإسلام:

لم يتأثر شعر كعب بن زهير بالإسلام كثيراً كما تأثر شعر غيره من الصحابة، فقد بقي على طريقته في الجاهلية في اختيار معظم معانيه وفي اختيار ألفاظه، فمن المعروف أن الإسلام يرقق عواطف الشاعر فيرق شعره وإذا تتبعنا شعر كعب الإسلامي وجدناه لا يختلف كثيراً عن شعره الجاهلي إلا في بعض المعاني الإسلامية، وقد قال كعب شعره الإسلامي في الأغراض التالية:

#### ١- المدح:

سبق كعب بن زهير غيره من شعراء الإسلام بقصيدته (بانت سعاد) التي مدح بها الرسول ﷺ والصحابة، فقد أعجب الرسول ﷺ بمدح كعب فعندما سمع قوله:

إن الرسول لنورٌ يُستضاء به      مهندٌ من سيوف الله مسلولٌ  
في عصابة من قريش قال قائلهم      ببطن مكة لما أسلموا زولوا<sup>(١)</sup>  
زالوا فما زال أنكاسٌ ولا كُشفٌ      عند اللقاء ولا ميلٌ معازيل<sup>(٢)</sup>

أشار الرسول ﷺ إلى الناس من حوله أن يستمعوا شعر كعب، وقد خلع النبي ﷺ بردته وأعطاه إياه، وقد اشتهرت هذه القصيدة على امتداد التاريخ الإسلامي، وهذا يدل على جودة معانيها وقوة أسلوبها مضمونها، ولكعب قصائد في المدح التي قالها بعد إسلامه ولكنها لا تصل إلى

درجة (بانت سعاد) ومن قصائد المدح التي قالها في الإسلام قصيدته في مدح الأنصار ومنها:  
من سره كرم الحياة فلا يزل      في مقنب من صالح الأنصار<sup>(٣)</sup>  
الباذلين نفوسهم لنبيهم      عند الهياج وسطوة الجبار

(١) العصابة: الجماعة من العشرة إلى الأربعين. زولوا: هاجروا.

(٢) أنكاس: ضعفاء. الأكشف: من ليس معه ترس. الأعزل من لا رمح معه.

(٣) المقنب: الجماعة من الفرسان دون الألف.

## ٢- الهجاء:

هجاء كعب بن زهير في الإسلام يبتعد عن السب والتجريح، فهو ينتهج منهج التعريض ويبتعد عن ذكر الأسماء، وهذا الطريق الذي سلكه في الإسلام يختلف عن الطريق الذي سار فيه في جاهليته؛ فقد كان هجاؤه في الجاهلية قاسياً وصريحاً.

ومن تلفظه في الهجاء وابتعاده عن ذكر الأسماء وعن السب الصريح قوله:

إِنْ كُنْتُ لَا تَرْهَبُ ذَمِّي لِمَا      تُعْرِفُ مِنْ صَفْحِي عَنِ الْجَاهِلِ  
فَاخْشَ سَكُوتِي إِذْ أَنَا مُنْصِتٌ      فِيكَ لِمَسْمُوعِ خَنَا الْقَائِلِ

## ٣- الحكم والمواعظ:

ليس غريباً على كعب بن زهير أن يتقدم على غيره في هذا الغرض، فوالده زهير جعل آخر معلقته حكماً متواليه، وحكم كعب تختلف عن حكم والده فهي حكم ومواعظ وجه الإسلام معظمتها فتحولت إلى عظات ترقق القلوب. فمن حكمه قوله:

كُلُّ ابْنِ أَثَى وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ      يَوْمًا عَلَى آلَةٍ حَدْبَاءَ مَحْمُولٍ

ومن الحكم التي تعظ القلوب:

لَوْ كُنْتُ أَعْجَبُ مِنْ شَيْءٍ لِأَعْجَبَنِي      سَعَى الْفَتَى وَهُوَ مَخْبُوءٌ لَهُ الْقَدْرُ  
يَسْعَى الْفَتَى لِأُمُورٍ لَيْسَ يُدْرِكُهَا      فَالْنَفْسُ وَاحِدَةٌ وَالْهَمُّ مُتَشَرُّ  
وَالْمَرْءُ مَا عَاشَ مَمْدُودٌ لَهُ أَمَلٌ      لَا تُتْتَهَى الْعَيْنُ حَتَّى يَنْتَهِيَ الْأَثَرُ

وقوله:

وَالسَّامِعُ الدَّامُّ شَرِيكٌ لَهُ      وَمُطْعِمُ المَأْكُولِ كَالْأَكْلِ  
مَقَالَةُ السُّوءِ إِلَى أَهْلِهَا      أَسْرَعُ مِنْ مُنْحَدِرِ سَائِلِ  
وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى ذَمِّهِ      ذَمُّوهُ بِالْحَقِّ وَبِالْبَاطِلِ

## قصيدة كعب بن زهير في مدح الأنصار

- ١- من سره كرم الحياة فلا يزل
  - ٢- تزن الجبال رزائةً أخلامهم
  - ٣- المكروهين السمهريّ بإذرع
  - ٤- والناظرين بأعينٍ محمرة
  - ٥- والدائدین الناس عن أديانهم
  - ٦- والباذلين نفوسهم لنيهم
  - ٧- دربوا كما دربت أسود خفية
  - ٨- وهم إذا خوت النجوم فإنهم
  - ٩- المطعمون الضيف حين ينوبهم
  - ١٠- والمنعمون المفضلون إذا شتوا
- في مقنّب من صالحی الأنصارِ  
وأكفهم خلف من الأمطارِ  
كصواقل الهندي غير قصارِ  
كالجمر غير كليلّة الأبصارِ  
بالمشرفي وبالقنا الخطارِ  
يوم الهياج وسطوة الجبارِ  
غلب الرقاب من الأسود ضواري  
للطائفين السائلين مقاري  
من لحم كوم كالهضاب عشارِ  
والضاربون علاوة الجبارِ

### مناسبة القصيدة:

عندما أهدر النبي ﷺ دم كعب بن زهير في الفترة التي كان يسب فيها الإسلام والمسلمين كان الأنصار هم الذين يبحثون عنه حتى ضيقوا عليه، وبعد أن هداه الله للإسلام وقال قصيدته المشهورة في مدح الرسول والمهاجرين لم يذكر الأنصار في تلك القصيدة بل عرض بهم في قوله:  
يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم ضرب إذا عردّ السود التنايل<sup>(١)</sup>  
وقد استاء الأنصار من ذلك، واستاء المهاجرون وقالوا إن مدحاً لا يشمل إخواننا الأنصار إنما هو ناقص، وقد سمع كعب بن زهير ذلك الحديث فعزم على إنشاء هذه القصيدة.

(١) الزهر: البيض. يعصمهم: يمنعهم. عردّ: فر وأعرض. التنايل: جمع تنبال وهو القصير.

## شرح الأبيات:

- (١) المقنب: ما دون الألف من الفرسان..  
من أراد أن يتمتع بالحياة الكريمة فليكن في مجموعة صالحة من الأنصار تحميه عند الحاجة وتشد عضده.
- (٢) إن عقول الأنصار تعادل الجبال في كبرها وعظمتها، وهم كرماء فأيديهم خلف من المطر؛ لأنها تجود بالمال والعطاء الكثير عندما تقل الأمطار ويصيب الناس القحط والجذب.
- (٣) السمهري: الرمح القوي. وسمهر اسم رجل تنسب له الرماح وكان يبيع الرماح القوية في الخط (القطيف). صواقل الهندي: السيوف.  
إن أولئك الرجال يحملون الرماح القوية بأذرع تكرهها على الطعن وتدفعها إليه لأن تلك تشبه سيوف الهند وهي طويلة تساعد على دفع الرمح بقوة.
- (٤) الكليلة: ضعيفة النظر.  
إنهم ينظرون إلى أعدائهم بأعين تشبه الجمر المتوقد من شدة الغيظ وشهوة اللقاء، وتلك الأعين حادة البصر غير ضعيفة.
- (٥) المشرفي: المشرفية السيوف المنسوبة إلى المشارف وهي قرى في أطراف الريف من جهة البادية سواء كانت في الشام أو في اليمن. الخطار: الذي إذا هز تتابعت أجزاؤه في اضطراب منتظم.  
لقد جاهد الأنصار في سبيل الله وقاتلوا العرب حتى دخلوا في دين الإسلام.
- (٦) الهياج: الحرب. السطوة: القهر والبطش.  
والأنصار لا يبخلون بنفوسهم وإنما يبذلونها في سبيل طاعة الرسول ﷺ عندما يأمرهم بحرب أعداء الإسلام الذين يحاولون قهر المسلمين والبطش بهم.

(٧) دربوا: اعتادوا. خفية: موضع في اليمامة تكثر به الأسود. غلب الرقاب: غلظ الرقاب،  
ضواري: معتادة.

إن اعتياد الأنصار على خوض الحروب يشبه اعتياد أسود "خفية" على أكل اللحوم  
والافتراس.

(٨) حوت النجوم: لم ينزل فيها مطر. مقاري: يقرون الناس أي يكرمونهم.

الأنصار يبذلون أموالهم في زمن الشدة وتوقف الأمطار؛ فهم يقرون السائل والطائف بهم  
فيجعلون أولئك ينزلون بساحتهم.

(٩) ينوهم: يأتيهم. الكوم: جمع كوماء وهي العظيمة السنام. العشراء: التي أمضت عشرة أشهر  
من حملها..

والأنصار كرام فهم ينحرون الإبل العشار ذوات الأسنمة العظيمة عندما يحل بساحتهم  
الضعيف.

(١٠) العلاوة: العنق.

إن الأنصار يشتهرون بالكرم في وقت الشدة وهو الشتاء، ويشتهرون بضرب عنق الجبار في  
المعارك، فهم يجمعون بين الكرم والشجاعة.

## مناقشة

- ١- وازن بين مدح حسان بن ثابت في الجاهلية ومدحه في الإسلام.
- ٢- لماذا كان هجاء حسان لقريش أشد من هجاء غيره واستشهد على ذلك بشيء من شعره.
- ٣- كيف تم إسلام كعب بن زهير؟
- ٤- تحدث عن قصيدة كعب بن زهير (بانت سعاد) مبيناً سبب شهرتها.
- ٥- اذكر بعضاً من أبيات كعب بن زهير في الحكمة.

## النثر في عصر صدر الإسلام

النثر الأدبي في عصر صدر الإسلام يتمثل في الخطابة والرسائل، وإذا كان القصد من النثر الأدبي هو التأثير وإثارة العواطف، فإن الخطبة والرسالة لهما الأثر الكبير في إثارة العواطف ومن ثمّ التأثير في الناس، على أن الخطبة تؤثر في الناس أكثر من تأثير الرسالة.

### الخطابة

الرسول ﷺ معدود من فصحاء العرب وبلغائهم قبل البعثة، وعندما بعث أخذ يدعو الناس إلى عبادة الله ونبذ الشرك، وكانت الخطابة هي الوسيلة التي توصل تعاليم الإسلام إلى قريش خاصة ثم إلى العرب عامة. وقد كانت خطب الرسول ﷺ في مكة قبل أن يهاجر إلى المدينة من أقوى الخطب التي يسمعاها العرب، ولولا تأثير تلك الخطب في قريش ثم في العرب القادمين للحج لما حدثت الخصومة بين النبي ﷺ وأهل مكة.

ومن خطبه ﷺ في مكة خطبته في قريش عندما نزل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء، آية: ٢١٤) فقد جمع قريشاً وخطب فيهم، ومن تلك الخطبة: "إن الرائد لا يكذب أهله، والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم، ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم، والله الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم حقاً وإلى الناس كافة".

وعندما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة أصبحت خطبه توضح التشريع الإسلامي. وقد شرع الإسلام خطبة الجمعة والعيدين وخطبة الحج.

أما الخطب التي تقال في المناسبات فهي قوية ومؤثرة، ومن تلك الخطب خطبة أبي بكر في يوم السقيفة، وخطبة عمر يوم تولى الخلافة، ولعلي ابن أبي طالب خطب بليغة في مناسبات كثيرة.

والخطابة في العصر الإسلامي تختلف عن خطب الجاهلية؛ فالخطبة الجاهلية تعتمد على السجع في أسلوبها، أما الخطبة في الإسلام فتتميز بسهولة الأسلوب، وضوح المعنى، وهي تستقي معانيها من القرآن والحديث.

ومن عادة الخطيب أن يخطب واقفاً، ويكون ذلك فوق منبر أو مرتفع من الأرض، ويعتمد على عصا. ولا يتصدى للخطبة إلا رجل عرف ببلاغته وقوة تأثيره، ولذلك نجد الخطب الإسلامية تؤثر في الناس أكثر من تأثير الشعر، بعكس ما كان سائداً في العصر الجاهلي فإن الشاعر يؤثر أكثر من الخطيب.

## نماذج من الخطابة

### ١- من خطبة النبي ﷺ بالخيف في منى:

روي زيد بن ثابت: أن النبي ﷺ خطب بالخيف من منى فقال: " نَضَرَ اللهُ عبداً سَمِعَ مقالتي فوعاها، ثم أداها إلى من لم يَسْمَعْهَا، فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ لا فقه له، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه. ثلاث لا يغلُّ عليهن قلب المؤمن: إخلاص العمل لله، والنصيحة لأولي الأمر، ولزوم الجماعة. إن دعوتهم تكون من ورائه. ومن كان همه الآخرة: جمع الله شمله وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة. ومن كان همه الدنيا: فرق الله أمره وجعل فقره بين عينيه، ولم يأت من الدنيا إلا ما كتب له" (١).

### ٢- خطبة أبي بكر رضي الله عنه يوم تولى الخلافة:

" أما بعد، فإني وليتُ أمركم ولست بخيركم، ولكن نزل القرآن وسنَّ النبي ﷺ وعلمنا فَعَلْمَنَا.

واعلموا أن أكيسَ الكيسِ الثَّقَى (٢)، وأن أحمقَ الحمقِ الفُجور، وأن أقواكم عندي الضعيفُ

(١) إعجاز القرآن ١٣٢.

(٢) الكيس: الفطنة والذكاء.

حتى أخذ له بحقه، وأن أضعفكم عندي القوي حتى أخذ منه الحق.  
أيها الناس إنما أنا متبع ولست بمبتدع فإن أحسنت فأعينوني وإن زُغْتُ<sup>(١)</sup> فقوموا بي. أقول  
قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم<sup>(٢)</sup>.

### ٣- من خطبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم تولى الخلافة:

"اقرأوا القرآن تُعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله، إنه لم يبلغ حقُّ ذي حقٍّ يطاع في  
معصية الله إلا وإني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة والي اليتيم: إن استغيتُ عَفَفْتُ، وإن  
افتقرتُ أكلتُ بالمعروف، تَقَرَّمُ الْبَهْمَةُ الْأَعْرَابِيَّةُ: الْقَضَمَ لَا الْخَضَمَ"<sup>(٣)</sup>.

### ٤- خطبة علي بن أبي طالب رضي الله عنه حينما أغارت جيوش معاوية على أطراف العراق وذلك بعد التحكيم

"أيها الناس المجتمعة أبدانهم، المختلفة أهواؤكم، كلامكم يوهي الصمَّ الصلاب<sup>(٤)</sup>، وفعلكم  
يطمع فيكم الأعداء، تقولون في المجالس: كيت وكيت<sup>(٥)</sup>، فإذا جاء القتالُ قُتِمَ حَيْدِي حِيَادٍ<sup>(٦)</sup>، ما  
عزَّتْ دعوة من دعاكم ولا استراح قلبٌ من قاساكم، أعاليلُ بأضاليل! سألتموني التأخيرِ دفاعِ  
ذي الدَّينِ المطولِ، هيهاتَ لا يَمْنَعُ الضَّيْمُ الدَّلِيلُ، ولا يُدْرِكُ الْحَقُّ إِلَّا بِالْجِدِّ، أيُّ دارٍ بعد داركم  
تمنعون، أم مع أيِّ إمامٍ بعدي تقاتلون؟ المغرور والله من غررئموه ومن فاز بكم فقد فاز بالسَّهمِ  
الأخيبِ، ومن رمى بكم فقد رمى بأفوقٍ ناصل<sup>(٧)</sup>، أصبحت والله لا أصدق قولكم، ولا أطمع في  
نصركم، ولا أوعد العدو بكم، ما بالكم! القوم رجال أمثالكم، أقوالاً بغير علم، وغفلة من غير

(١) الزبغ: العدول عن طريق الحق.

(٢) عيون الأخبار ٢/٢٣٤.

(٣) تقرر: أكل أكلاً ضعيفاً. القضم: الأكل بأطراف الأسنان. الخضم: الأكل بأقصى الأضراس. والخطبة في عيون الأخبار ٢/٢٣٤.

(٤) يوهي: يضعف. الصم الصلاب: الحجارة الصلبة القوية.

(٥) كيت وكيت: كذا وكذا.

(٦) حيدي حيادة: كلمة يقولها الفار من القتال.

(٧) أفوق ناصل: سهم كسر أعلاه أي لا نصل فيه. والخطبة في البيان والتبيين ٢/٥٤.

ورع، وطمعاً في غير حق؟ فرق الله بيني وبينكم وأعقبني بكم من هو خير لي منكم".

## هـ - خطبة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

"أصدق الحديث كتاب الله، وأوثق العرى كلمة التقوى، خير المثل ملء إبراهيم، وأحسن السنن سنة النبي محمد ﷺ، خير الأمور أوسطها، وشر الأمور محدثاتها، ما قل وكفى خير مما كثر وألهى، خير الغنى غنى النفس، وخير ما ألقى في القلب اليقين، الخمر جماع الإثم، النساء حبالة الشيطان<sup>(١)</sup>، الشباب شعبة من الجنون، حب الكفاية مفتاح المعجزة<sup>(٢)</sup>، من الناس من لا يأتي الجماعة إلا دُبراً ولا يذكر الله إلا هُجراً<sup>(٣)</sup>، أعظم الخطايا اللسان الكذوب، سباب المؤمن فسق، وقتاله كفر، وأكل لحمه معصية، من يتأل على الله يكذبه<sup>(٤)</sup> من يعفر يعفر له. مكتوب في ديوان المحسنين: من عفا عفي عنه، الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من وعظ بغيره، الأمور بعواقبها، ملاك العمل خواتيمه، أشرف الموت الشهادة، من يعرف البلاء يصبر عليه، ومن لا يعرف البلاء يُنكره".

(١) الحباله: التي يصاد بها.

(٢) المعجزة: العجز.

(٣) الهجر: هجران القلب وترك الإخلاص في الذكر.

(٤) من يتأل على الله: أي من يحكم على فلان بدخول الجنة أو النار. والخطبة في إعجاز القرآن ١٤٧ والبيان والتبيين ٥٦/٢.

## الرسائل

كانت الكتابة معروفة في مكة قبل بعثة الرسول ﷺ ولكنها قليلة جداً، وعندما نزل القرآن الكريم حث على الكتابة فقد قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنُتُمْ بَدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾<sup>(١)</sup>.

والكتابة الفنية في عهد الرسول ﷺ تنحصر في كتابة الرسائل، وكتابة الرسائل امتداد للحديث العادي ولذلك نجد الرسائل تخلو من التكلف فهي سهلة العبارة خالية من عبارات التفخيم تنصب على الغرض الذي أنشئت من أجله، وهي تبتدئ عادة بـ (من عبد الله فلان إلى فلان أما بعد).

وتشمل الرسائل في عهد الرسول ﷺ: الرسائل إلى الملوك والأمراء، والرسائل إلى عمال الدولة، بالإضافة إلى الرسائل الشخصية، وفي عهد الخلفاء الراشدين كانت الرسائل ترسل من الخليفة إلى الأمراء والقواد والقضاة. وكانت الرسائل تشتمل على وصايا وتعليمات كما أنها تشمل ما يُوجّه إلى عامة المسلمين، وطريقة كتابة الرسالة في زمن الخلفاء الراشدين لم تختلف عما كانت عليه في زمن الرسول ﷺ إلا بنوع من الإطناب، كما نجد في رسائل عمر أو رسائل علي رضي الله عنهما.

## نماذج من الرسائل

### رسالة النبي ﷺ إلى ملك فارس:

"من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس:  
سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وأدعوك بدعاء الله تعالى، فإنني أنا رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين. فَأَسْلِمُ تَسْلِمًا"<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة البقرة آية ٢٨٢.

(٢) إعجاز القرآن ١٣٤.

## رسالة النبي ﷺ إلى النجاشي:

" من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة "

سَلِّمْ أَنْتَ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ، وَأَشْهَدُ أَنْ عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ رُوحَ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْبَتُولِ<sup>(١)</sup> الطَّيِّبَةِ، فَحَمَلَتْ بَعِيسَى فَحَمَلْتَهُ مِنْ رُوحِهِ وَنَفَخَهُ كَمَا خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ وَنَفَخَهُ.

وَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَالْمَوَالَاةَ عَلَى طَاعَتِهِ وَأَنْ تَتَّبِعَنِي وَتُؤْمِنَ بِالَّذِي جَاءَنِي، وَإِنِّي أَدْعُوكَ وَجُنُودَكَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَقَدْ بَلَّغْتُ وَنَصَحْتُ، فَاقْبَلُوا نَصِيحِي، وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ اتِّبَاعِ الْهُدَى<sup>(٢)</sup>.

## رسالة أبي عبيدة الجراح ومعاذ بن جبل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنهم:

" سلام عليك، فإننا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد فإننا عهدناك وأمر نفسك لك منهم، فأصبحت وقد وُلِّيتَ أمر هذه الأمة أحمَرَهَا وَأَسْوَدَهَا، يجلس بين يديك الصديق والعدو والشريف والوضيع ولكل حصته من العدل، فانظر كيف أنت يا عمر عند ذلك فإننا نخذرك يوماً تعنو فيه الوجوه، وتجب<sup>(٣)</sup> فيه القلوب. وإنا كنا نتحدث أن أمر هذه الأمة يرجع في آخر زمانها: أن يكون إخوان العلانية أعداء السريرة، وإنا نعوذ بالله أن تُنزلَ كتابنا سوى المنزل الذي نزل من قلوبنا، فإننا إنما كتبنا إليك نصيحة لك، والسلام<sup>(٤)</sup>.

## كتاب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما في القضاء:

" من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس: سلام عليك.

(١) البتل: القطع وسميت مريم البتول لأنها قطعت عن الرجال.

(٢) إعجاز القرآن ١٣٤.

(٣) وجب القلب: خفق واضطرب.

(٤) إعجاز القرآن ١٣٩.

أما بعد. فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة، فافهم إذا أدلي إليك، فإنه لا ينفع تكلم بحق لانفاذ له.

آس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك، حتى لا يطمع شريف في خيفك، ولا يياس ضعيف من عدلك<sup>(١)</sup>.

البينة على من ادعى واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً. ولا يمنعك قضاء قضيتته بالأمس - فراجعت فيه عقلك، وهديت لرشدك - أن ترجع إلى الحق، فإن الحق قديم ومراجعة الحق خير من التماذي في الباطل.

الفهم الفهم، فيما تلجلج في صدرك<sup>(٢)</sup> مما ليس في كتاب ولا سنة، ثم اعرف الأشباه والأمثال، وقس الأمور عند ذلك واعمد إلى أشبهها بالحق.

واجعل لمن ادعى حقاً غائباً أو بينة أمداً ينتهي إليه، فإن أحضر بينة أخذت له بحقه، وإلا استحلتت عليه القضية فإنه أنفى للشك وأجلى للعمى<sup>(٣)</sup>.

المسلمون عدول بعضهم على بعض، إلا مجلوداً في حد، أو مجرباً عليه شهادة زور، أو ظنياً في ولاء أو نسب<sup>(٤)</sup>، فإن الله تولى منكم السرائر ودرأً بالإيمان والبيئات<sup>(٥)</sup>.

وإياك والعلق والضجر<sup>(٦)</sup> والتأذي بالخصوم، والتنكر عند الخصومات، فإن الحق في مواطن الحق يُعظم الله به الأجر، ويحسن به الذخر، فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شأنه الله، فما ظنك بثواب الله عز وجل في عاجل رزقه وخزائن رحمته. والسلام."

(١) آس بين الناس...: أي سو بين المتخاصمين في بشاشة وجهك وعدلك.

(٢) تلجلج: تردد.

(٣) أجلى للعمى: أوضح للأمر المبهم.

(٤) الظنين: المتهم.

(٥) درأ: دفع.

(٦) العلق: شيق الصدر. الضجر: قلة الصبر.

## مناقشة

- ١- تحدث عن أهمية الخطابة في عصر صدر الإسلام.
- ٢- تحدث عن الرسائل في هذا العصر، واذكر أهم ما يميزها.

## الأدب في العصر الأموي

يبتدئ العصر الأموي بخلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه سنة ٤١هـ بعد تنازل الحسن بن علي رضي الله عنهما له عن الخلافة، وينتهي بمقتل مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية سنة ١٣٢هـ وقيام الدولة العباسية.

وفي هذا العصر ازدهرت اللغة والأدب، فاتسعت مدلولات اللغة ودخلتها مصطلحات جديدة بسبب اتساع الدولة الإسلامية وكثرة احتياجاتها. وستحدث فيما يلي عن الشعر والنثر وتطورهما في هذا العصر

### الشعر

ازدهر الشعر في العصر الأموي، وتفتت سوقه بسبب إجزال الأمويين العطاء للشعراء، وشيوع العصبية القبلية، كما كان لقيام الطوائف السياسية من شيعة وخوارج وزبيريين أثره الكبير في الأدب؛ فلقد كان لهذه الطوائف شعراء وخطباء ينافحون عنها، ويمدحون زعماءها، ويهجون مناوئها، مما دفع بعجلة الأدب إلى الأمام.

### أغراض الشعر

حافظ الشعراء على أغراض الشعر القديمة من مدح وفخر وهجاء ورتاء وغزل ووصف، وإن تأثرت هذه الأغراض بحضارة العصر الأموي التي تختلف عن العصر الجاهلي. وقد جدت أغراض جديدة لم تكن معروفة في العصر الجاهلي، ومن تلك الأغراض: الشعر السياسي والغزل العذري وأنواع من الوصف، مثل وصف البلاد المفتوحة وما فيها من أنهار وقصور وحدائق ومعابد، وبما أن الأغراض الشعرية في هذا العصر كثيرة ومتعددة فإننا سنتناول بعض هذه الأغراض.

## الشعر السياسي:

عندما اندلعت الفتنة في زمن عثمان كانت إيداناً باستمرار النزاع بين المسلمين، فقد قام معاوية يطالب بدم عثمان، وقد اختار المسلمون علياً خليفة للمسلمين ولكن خلافته لم تدم طويلاً بسبب النزاع بينه وبين معاوية رضي الله عنهما، وقد أدى ذلك النزاع إلى التحكيم الذي برز بسببه الخوارج، وبعد مقتل علي رضي الله عنه تولى الخلافة ابنه الحسن، ثم تنازل لمعاوية حقناً لدماء المسلمين.

وقد استاء أنصار علي من الحكم الأموي، وبرز الشيعة الذين يرون أن علياً وبنيه هم الأحق بالخلافة، ولكن الشيعة لم يستطيعوا مصارعة الأمويين، كما قام عبد الله بن الزبير الذي لم يبايع ليزيد بن معاوية، ودعا لنفسه بالخلافة، فبايعه كثير من المسلمين، وقوي نفوذه وتوالت انتصاراته، إلى أن قضي عليه في عهد عبد الملك بن مروان.

هذه الاتجاهات واكبها الشعر فكان لسانها الناطق الذي يذود عنها ويهاجم أعداءها، فالأمويون هم أصحاب الدولة، ولذا كان أكثر ألسن الشعراء معهم. ومن أبرز الشعراء الذين

يدافعون عن الأمويين الأخطل فهو يقول فيهم:

حُشِدْ عَلَى الْحَقِّ عَيَافُوا الْخَنَا أَنْفُ  
وَإِنْ تَدَجَّتْ عَلَى الْآفَاقِ مُظْلِمَةٌ  
شُمْسُ الْعَدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ  
وَإِذَا أَلَمَّتْ بِهِمْ مَكْرُوهَةٌ صَبَرُوا<sup>(١)</sup>  
كَانَ لَهُمْ مَخْرَجٌ مِنْهَا وَمُعْتَصِرٌ<sup>(٢)</sup>  
وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَاماً إِذَا قَدَرُوا<sup>(٣)</sup>

والشيعة لهم شعراؤهم، ومن أبرزهم الكميث بن زيد الأسدي الذي يقول في بني هاشم:

بَنِي هَاشِمٍ رَهْطَ النَّبِيِّ فَإِنِّي  
خَفَضْتُ لَهُمْ مِنِّي جَنَاحِي مَوَدَّةً  
بِهِمْ وَلَهُمْ أَرْضِي مِرَاراً وَأَغْضَبُ  
إِلَى كَنْفِ عِطْفَاءِ أَهْلِ وَمَرْحَبُ

(١) حشد على الحق: يحشدون جنودهم دفاعاً عن الحق. الخنا: الفحشاء.

(٢) تدجت: أظلمت. المعتصر: الملجأ.

(٣) شمس: جمع شمس أي عسير، ومعنى "شمس العداوة حتى يستقاد لهم": أي أنهم ينكلون بأعدائهم ماداموا يثورون عليهم ويعصوهم.

وكنْتُ لَهُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ  
وَأَزْمَى بِالْعَدَاوَةِ أَهْلَهَا  
مِحْنًا عَلَى أَنِي أُدْمُ وَأُقْصَبُ<sup>(١)</sup>  
وَإِنِّي لَأُودَى فِيهِمْ وَأُؤْتَبُ

والخوارج فئات كثيرة ولهم شعراؤهم، وقد ناصبوا الدولة الأموية العداوة.  
وقد أشاد شعراء الزبيريين بانتصارات مصعب بن الزبير في العراق، ومن أبرز شعراء الزبيريين  
عبيد الله بن قيس الرقيات الذي يقول في مصعب:

إِمَّا مُصْعَبٌ شَهَابٌ مِنَ اللَّهِ  
مُلْكُهُ مُلْكُ عِزَّةٍ لَيْسَ فِيهِ  
تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلْمَاءُ  
جَبْرُوتٌ وَلَا بِهِ كِبْرِيَاءُ

### المدح:

اهتم الخلفاء والأمراء بتأييد الشعر لأن الشعر يهيمن على النفوس ويتناقله الناس بيسر  
وسهولة، فلا تجدد مجلساً من المجالس إلا ويذكر فيه الشعر، وبنو أمية يعرفون سلطان الشعر على  
نفوس العرب، وهم في أمس الحاجة إلى الإشادة بهم وتأيدهم أمام خصومهم الكثيرين من شيعة  
وخوارج وزبيريين.

والمدح في العصر الأموي لم يقتصر على بني أمية وقوادهم ولكن المديح الذي قيل في هؤلاء  
يمثل نسبة عالية من المديح الذي قيل في العصر الأموي، وشعر المدح يقال عادة في الخليفة والأمراء  
والقواد.

ومن أشهر شعراء المدح في هذا العصر: الأخطل وجريير والفرزدق وذو الرمة ونُصيب<sup>(٢)</sup>  
وليلي الأَخِيلِيَّة<sup>(٣)</sup> وأبو نَخِيلَةَ<sup>(٤)</sup> وزياد الأعجم<sup>(٥)</sup>. والمعاني التي قال فيها هؤلاء الشعراء مديحهم لا

(١) أقصب: أشتتم.

(٢) هو نصيب بن رباح من شعراء الدولة الأموية توفي سنة ١٠٨هـ.

(٣) شاعرة أموية توفيت سنة ٨٠هـ.

(٤) أبو نخيلة شاعر أموي وهذا هو اسمه فهو أبو نخيلة بن حزن من بني حمان من تميم امتد به العمر حتى قيام الدولة العباسية حيث قتل سنة  
١٤٥هـ.

(٥) زياد الأعجم: هو زياد بن سليمان الأعجم من موالي عبد القيس وسمى بالأعجم؛ لأنه في لسانه عجمة، نشأ في أصفهان، وعاش في خراسان  
حيث توفي بها سنة ١٠٠هـ.

تختلف كثيراً عن معاني المدح في العصر الجاهلي من شجاعة وكرم ووفاء وحلم ونجدة ومروءة ونبيل.

ومن أبيات المدح التي تجمع كثيراً من المعاني الآتفة الذكر قول زياد الأعجم في عبد الله بن الحشر الجعدي:

إِن السَّامِحَةَ وَالْمَرْوَةَ وَالنَّدَى      فِي قُبَّةٍ ضُرِبَتْ عَلَى ابْنِ الْحَشْرِجِ  
مَلِكٌ أَغْرُ مُتَوَجِّحٌ ذُو نَائِلٍ      لِلْمُعْتَفِينَ يَمِينُهُ لَمْ تَشْنَجِ<sup>(١)</sup>  
لَمَّا أَتَيْتُكَ رَاجِئاً لِنَوَالِكُمْ      أَلْفَيْتُ بَابَ نَوَالِكُمْ لَمْ يُرْتَجِ

ويشمل المدح المعاني الإسلامية ولكنها قليلة إذا قيست بالمعاني المتوارثة منذ العصر الجاهلي.

## الهجاء:

لما قامت الدولة الأموية على أساس التعصب لبني أمية كان ذلك إيذاناً بفتح الباب على مصراعيه لتعصب العرب لقبائلهم، وبعث ما كانت تعترض به القبائل وتقلل من شأن خصومها التقليديين في الجاهلية، وهذا باب سده الإسلام في زمن الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين. فالهجاء في العصر الأموي امتداد للهجاء في العصر الجاهلي، فالأصل فيه التقليل من شأن المهجو وإلحاق النقائص به سواء كان فرداً أو قبيلة.

والشعراء المهجؤون في هذا العصر كثيرون منهم جرير، والفرزدق، وثابت قطنه<sup>(٢)</sup> وغيرهم.

## النقائص:

النقائص قصائد ينقض بعضها بعضاً؛ وذلك بأن يقول شاعر قصيدة يفتخر فيها بنفسه وقبيلته ويُعرض بشاعر آخر أو يهجو قبيلة ذلك الشاعر، فإذا سمع الشاعر المهجو تلك القصيدة نقضها أي: نقض معانيها بالرد عليها وفضح أكاذيبها. ولا بد من اتفاق القصيدتين البادئة بالهجاء

(١) المعتفون: الطالبون العطاء. تشنج: تنقبض.

(٢) هو: ثابت بن كعب بن جابر العنكي من الأزدي شهد كثيراً من الوقائع في خراسان.

والمنقوضة في: البحر، والقافية.

وقد عرفت النقائض في العصر الجاهلي، ثم توسع فيها شعراء مكة والمدينة قبل فتح مكة، وفي العصر الأموي ازدهر شعر النقائض، لوجود مسرح دائم للشعر وهو (سوق المرْبَد) في البصرة، الذي اتخذهُ شعراء النقائض مكاناً لإلقاء القصائد التي تلحق العار والخزي بالقبيلة المهجوة أو بشاعر تلك القبيلة، ويجد الشاعر في جمهور ذلك السوق خير معين له على التشهير بخصمه. وقد تحولت قصائد النقائض بشعرائها وجمهورها إلى نوع من أنواع التسلية في ذلك السوق الذي تحتشد فيه جموع غفيرة من القبائل العربية.

ومن أشهر شعراء النقائض في العصر الأموي: جرير، والفرزدق، والأخطل، والبعيث الجاشعي، والراعي النميري، ولكن أشهر هؤلاء جرير الذي اشتهر بنقائضه مع الفرزدق والأخطل وغيرهما من شعراء النقائض في عصره.

وأشهر نقائض عرفت في العصر الأموي هي ما كان بين جرير والفرزدق، وقد استمرت النقائض بينهما خمسة وأربعين عاماً، ثم النقائض بين جرير والأخطل وقد استمرت بينهما تسعة عشر عاماً، وأما النقائض بين جرير وسائر الشعراء فهي كثيرة. ونورد هنا بعض الأبيات لأشهر قصيدتين في النقائض بين الفرزدق وجرير، قال الفرزدق:

فما أنت من قيس فتنبحَ دونها	ولا من تميم في الرؤوسِ الأعاطِمِ
وهل يابنُ تُفَرِّ الكلبِ مثلُ سيوفنا	سيوفٌ ولا قبصُ العديدِ القمَاقِمِ <sup>(١)</sup>
فلو كنتَ منهم لم تعبْ مدحتي لهم	ولكن حِمَارٌ وشيهُ بالقَوَائِمِ
فياَ عَجَباً حتى كُلبٌ تُسُبُّني	وكانت كليبٌ مدرجاً للمَشَاتِمِ <sup>(٢)</sup>

(١) تُفَرِّ الكلب: فرج الكلب. قبص: العدد الكثير. القمَاقِم: السيد الكثير الخير.

(٢) كليب: قبيلة جرير. ومعنى الشطر الثاني: أن من أراد شتمها وجد فيها مشتماً.

وقد نقض حرير قصيدة الفرزدق بقصيدة منها:

لَقَدْ وَلَدَتْ أُمُّ الْفَرَزْدَقِ فَاجْرَأُ  
وما كان جاراً للفرزدق مُسْلِمٌ  
يُوصِّلُ حَبْلِيهِ إِذَا جَنَّ لَيْلُهُ  
وَإِنِّي وَقَيْسًا يَا ابْنَ قَيْنٍ مُجَاشِعِ  
وَجَاءَتْ بوزوارٍ قَصِيرِ الْقَوَائِمِ<sup>(١)</sup>  
لِيَأْمَنَ قِرْدًا لَيْلُهُ غَيْرُ نَائِمِ  
لِيَرْقَى إِلَى جَارَاتِهِ بِالسَّلَامِ  
كَرِيمٍ أَصْفَى مِدْحَتِي لِلْكَارِمِ<sup>(٢)</sup>

ومن نقائض الأخطل وجرير قول الأخطل في جرير:

إِخْسًا إِلَيْكَ كَلِيبُ إِنَّ مُجَاشِعًا  
وَإِذَا وَرَدَتْ الْمَاءَ كَانَ لِدَارِمِ  
وَإِذَا قَذَفْتَ أَبَاكَ فِي مِيزَانِهِمْ  
وَأَبَا الْفَوَارِسِ نَهْشَلًا أَخْوَانِ  
جَمَائِهِ وَسُهُولَةَ الْأَعْطَانِ<sup>(٣)</sup>  
رَجَحُوا وَشَالَ أَبُوكَ فِي الْمِيزَانِ<sup>(٤)</sup>

وقد نقضها جرير بقوله:

يَاذَا الْعَبَاءَ إِنَّ بَشْرًا قَدْ قَضَى  
فَدَعُوا الْحُكُومَةَ لَسْتُمْ مِنْ أَهْلِهَا  
قَتَلُوا كُلِّيَكُمْ يَلْقَحَةَ جَارِهِمْ  
أَلَّا تَجُوزَ حُكُومَةَ النَّشْوَانِ<sup>(٥)</sup>  
إِنَّ الْحُكُومَةَ فِي بَنِي شَيْبَانَ<sup>(٦)</sup>  
يَا خَزَرَ تَعْلِبَ لَسْتُمْ يَهْجَانِ<sup>(٧)</sup>

### شعر الفتوح والدعوة الإسلامية:

شعر الفتوح والدعوة الإسلامية في العصر الأموي امتداد لشعر الدعوة والفتح الإسلامي في عصر صدر الإسلام، فالدعوة إلى الله مستمرة، والجهاد في سبيل الله حمل لواءه الصحابة والتابعون

(١) الوزواز: الخفيف على الأرض.

(٢) قيس: قبيلة مضرية. القين: العبد. مجاشع: قبيلة الفرزدق.

(٣) الجمية: مجتمع الماء ومعظمه. الأعطان: مناخ الإبل حول الحوض.

(٤) شال الميزان: ارتفعت إحدى كفتيه.

(٥) ذو العباءة: الأخطل لأنه يلبسها. وبشر: هو بشر بن مروان.

(٦) بنو شيبان: هم بنو شيبان بن ذهل من بكر بن وائل.

(٧) كليب: هو كليب بن ربيعة. اللقحة: الناقة الحلوب. خزر: جمع أخزر وهو الأحول. الهجان: البيض الكرام.

وتبعهم سلفهم في العصر الأموي، إلا أن الجهاد يفتقر في زمن الفتن التي تحدث بين المسلمين ثم يعود قوياً ليستأنف مسيرته.

ودولة بني أمية هي الدولة التي شهدت فيها الفتوح الإسلامية أقصى اتساعها، حين امتدت الدولة الإسلامية من الأندلس وفرنسا غرباً حتى الصين شرقاً، وقد صاحب تلك الفتوح شعر يصورها ويصف إيمان الجندي المسلم وثباته وصبره. لأن الجنود المقاتلين فيهم الكثير من الشعراء.

يقول كعب الأشقري:

والترك تعلم إذ لاقى جموعهم  
يفتية كأسود الغاب لم يجدوا  
في حازة الموت حتى جن ليهم  
أن قد لقوه شهاباً يفرج الظلماً<sup>(١)</sup>  
غير التاسي وغير الصبر معتصماً  
كلا الفرقيين ما ولي ولا انهزماً<sup>(٢)</sup>

ويقول سودة بن عبد الله السلولي في وصف وفد الدعوة الذي أرسله قتيبة بن مسلم الباهلي إلى ملك الصين في زمن الوليد بن عبد الملك، وكان يرأس ذلك الوفد هبيرة بن المشمرج الكلابي، وقد سار ذلك الوفد إلى ملك الصين وعرض عليه الإسلام، وبعد محادثات بين الجانبين رضي ملك الصين بدفع الجزية للمسلمين، وعاد الوفد إلى قتيبة بن مسلم، يقول سودة:

لا عيب في الوفد الذين بعثتهم  
كسروا الجفون على القدي خوف  
لم يرض غير الختم في أعناقهم  
أدى رسالتك التي استرعتته  
للصين إن سلكوا طريق المنهج<sup>(٣)</sup>  
حاشا الكريم هبيرة بن مشمرج  
ورهائن دفعت بحمل سمرج<sup>(٤)</sup>  
وأناك من حنث اليمين بمخرج<sup>(٥)</sup>

(١) الضمير في (لقوه) يعود إلى يزيد بن المهلب.

(٢) تاريخ الطبري ٣٥٢/٦. والحازة: الشدة.

(٣) المخاطب قتيبة بن مسلم.

(٤) كان قتيبة قد أقسم أن يطاء أرض الصين وأن يجتم على رقاب ملوكهم وأن يأخذ الجزية. والسمرج: الخراج.

(٥) كان ملك الصين قد بعث بتراب من أرض الصين ليطاء قتيبة فيبر بقسمه.

والمعاني التي يشتمل عليها شعر الفتوح والدعوة الإسلامية لا تكاد تخرج عن الحماسة والحث على الجهاد وقتال الأعداء - كما تقدم - أو رثاء من يقتل في سبيل الله، أو الحنين إلى الأوطان. وقد اشتهرت عدد من القصائد في الحنين إلى الوطن دون معرفة قائلها.

ومن شعر الحنين إلى الوطن قول الصمة بن عبد الله القشيري<sup>(١)</sup>:

أَقُولُ لِصَاحِبِي وَالْعَيْسُ تَهْوِي      بِنَا بَيْنَ الْمُنَيْفَةِ فَالضَّمَارِ<sup>(٢)</sup>  
تَمَّتَّعَ مِنْ شَمِيمِ عَرَارٍ نَجْدٍ      فَمَا بَعْدَ الْعَشِيَّةِ مِنْ عَرَارٍ<sup>(٣)</sup>  
أَلَا يَا حَبِّدًا نَفَحَاتُ نَجْدٍ      وَرِيًّا رَوْضِهِ بَعْدَ الْقَطَارِ<sup>(٤)</sup>  
وَأَهْلُكَ إِذْ يَحُلُّ الْحَيُّ نَجْدًا      وَأَنْتَ عَلَى زَمَانِكَ غَيْرُ زَارٍ<sup>(٥)</sup>  
شُهُورٌ يَنْقُضِينَ وَمَا شَعَرْنَا      بِأَنْصَافٍ لَهْنًا وَلَا سِرَارٍ<sup>(٦)</sup>

- 
- (١) الصمة بن عبد الله القشيري شاعر أموي، عاش معظم حياته جندياً يقاتل في سبيل الله في بلاد خراسان وما والاها شرقاً، وقد حن كثيراً إلى بلاده نجد التي انتقل منها في أيام شبابه، وقد توفي في طبرستان سنة ٩٥هـ.
- (٢) المنيفة: ماء بالقرب من حفر الباطن، الضمار: موضع قريب من حفر الباطن.
- (٣) العرار: نبت طيب الرائحة، وله زهر أصفر.
- (٤) الريا: الريح الطيبة. القطار: جمع قطر وهو المطر.
- (٥) زاري: عائب ومعاتب.
- (٦) السرار: آخر ليلة من الشهر. والأبيات في ديوان الصمة ص ٧٨.

## خصائص الشعر في العصر الأموي

- ١- الجمع بين المعاني الجاهلية والإسلامية.
- ٢- التوسع في المعاني الإسلامية من شرح للعقيدة الإسلامية، وتوضيح طريقة الدعوة، والتفاني في سبيل العقيدة، والدعوة إلى الجهاد.
- ٣- التوسع في الأغراض التقليدية حيث أصبح المدح بالإيمان، والهجاء بالكفر والشرك والفسق، والفخر بنصر الإسلام، واستنهاض الهمم لقتال الكفار.
- ٤- التنوع الواسع في المعاني ودقتها، والأخذ من ثقافات الشعوب المفتوحة وتاريخها ومعارفها.
- ٥- الترتيب في المعاني في بعض القصائد.
- ٦- ظهور معانٍ جديدة كالجدل السياسي والديني عند شعراء الفرق المختلفة، ووجود النقائص التي تعتبر تطوراً لغرض الهجاء.
- ٧- ظهور شعراء من أصول غير عربية يفتخرون بأصولهم وأمهم ويفضلونها على العرب فيما يعرف بالشعر الشعبي. ومن شعراء هذا اللون إسماعيل بن يسار.
- ٨- التنوع في قوة الأسلوب، ما بين قوي يمثله كبار الشعراء كالفرزدق وجريير والأخطل وذي الرمة خاصة في غرضي المدح والهجاء، وسهل رقيق نجده عند شعراء الغزل كجميل بثينة وكثير عزة وقيس بن ذريح وعمر بن أبي ربيعة، وأسلوب ثالث وسط بين القوة والسهولة كمعظم شعر الفتوح وشعر الخوارج.
- ٩- تأثير البيئة في الشعر. فنجد شعر الحجاز يختلف عن شعر نجد، وكذا شعر العراق وأهل الشام؛ ذلك أن هذه البيئات اختلفت حيث تزخر البيئة العراقية بالصراعات السياسية والدينية، وبيئة الحجاز تميزت برفاهة العيش، ويختلف مركز الخلافة في الشام عن غيره، بينما لم تتغير كثيراً بيئة نجد.

## نماذج من الشعر الأموي

### (١) الفرزدق يفتخر بقومه:

- ١- لَنَا الْعِزَّةُ الْقَعْسَاءُ وَالْعَدَدُ الَّذِي عَلَيْهِ إِذَا عُدَّ الْحَصَى يَتَخَلَّفُ<sup>(١)</sup>
- ٢- وَلَوْ شَرِبَ الْكَلْبَى الْمَرَاضُ دِمَاءَنَا شَفَّتْهَا وَذُو الْخَبْلِ الَّذِي هُوَ أَدْنَفُ<sup>(٢)</sup>
- ٣- تَرَى النَّاسَ مَا سِرْنَا يَسِيرُونَ خَلْفَنَا وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَانَا إِلَى النَّاسِ وَقَفُوا
- ٤- وَلَا عِزًّا إِلَّا عِزُّنَا قَاهِرٌ لَهُ وَيَسْأَلُنَا التَّصْفَ الدَّلِيلُ فَنُصِفُ<sup>(٣)</sup>
- ٥- وَقَدْ عَلِمَ الْجِيرَانُ أَنَّ قُدُورَنَا ضَوَامِنُ لِلْأَرْزَاقِ وَالرِّيْحُ زَفَزَفُ<sup>(٤)</sup>
- ٦- نُعَجِّلُ لِلضَّيْفَانِ فِي الْمَحَلِّ بِالْقِرَى قُدُورًا بِمَعْبُوطٍ تُمَدُّ وَتُعْرَفُ<sup>(٥)</sup>
- ٧- تُفْرَعُ فِي شِيزَى كَأَنَّ حِفَانَهَا حِيَاضُ جَبِي مِنْهَا مِلاءٌ وَنُصِفُ<sup>(٦)</sup>
- ٨- نَرَى حَوْهِنَّ الْمُعْتَفِينَ كَأَنَّهُمْ عَلَى صَنَمٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَكْفُ<sup>(٧)</sup>
- ٩- وَمَا حَلَّ مِنْ جَهْلٍ حَبِي حُلْمَانَا وَلَا قَائِلُ الْمَعْرُوفِ فِينَا يُعْنَفُ
- ١٠- وَمَا قَامَ مَنَا قَائِمٌ فِي نَدِينَا فَيَنْطِقُ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَعْرَفُ<sup>(٨)</sup>
- ١١- وَجَهْلٍ بِحَلْمٍ قَدْ دَفَعْنَا جُنُونَهُ وَمَا كَانَ لَوْلَا عِزُّنَا يَتَزَحَلَفُ<sup>(٩)</sup>
- ١٢- رَجَحْنَا بِهِمْ حَتَّى اسْتَتَابُوا حُلُومَهُمْ بِنَا بَعْدَ مَا كَادَ الْقَنَا يَتَّقِصَفُ<sup>(١٠)</sup>

(١) القعساء: الثابتة.

(٢) الكلبى: الذين هم داء الكلب وهو عض الكلب. الخبل: الجنون. أدنف: أكثر مرضاً.

(٣) النصف: الإنصاف.

(٤) زفزف: شديدة الهبوب باردة.

(٥) المعبوط: لحم الإبل الصحيحات. تمد: يأتيها مدد.

(٦) الشيزي: الحفان المصنوعة من خشب الشيز، حياض جبي: أي جبي فيها الماء.

(٧) المعتفي: من يطلب الرزق.

(٨) الندي: المجلس. أعرف: أقرب للمعروف.

(٩) يتزحلف: يتنحى ويتباعد.

(١٠) استتابوا حلومهم: رجعت إليهم حلومهم. يتقصف: يتكسر. والقصيدة في جمهرة أشعار العرب ٨٧٦/٢.

## (٢) الأخطل يمدح بني أمية(\*) :

- ١- إني حلفتُ بربِّ الرّاقصاتِ وما
  - ٢- لألجأني قُريشٌ خائفًا وِجلاً
  - ٣- المُنعمونُ بِنو حَربٍ وقدِ حَدَقْتُ
  - ٤- قَوْمٌ يُجَلُّونَ عَنَ أَحْيَائِهَا ظُلْمًا
  - ٥- قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا شَدُّوا مَآزِرَهُمُ
  - ٦- هَيُّونَ لَيُنُونَ اسَادَ دُووِ شَرَسٍ
  - ٧- لَا يَنْطِقُونَ بِفَحْشَاءٍ إِذَا نَطَقُوا
  - ٨- مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقْلٌ لَاقَيْتُ سَيِّدَهُمُ
- (١) أضحى بمكة من حجبٍ وأستار  
(٢) ومولثني قريشٌ بعد إقتار  
(٣) بي المنيّة واستبطأت أنصاري  
(٤) حتّى تكشّفَ عن سَمْعٍ وإبصارٍ  
عن النّساء ولو بائت بأطهار  
(٥) سُوَاسُ مَكْرُمَةٍ أَبْنَاءُ أَيَسَارٍ  
(٦) ولا بما دُونَ إِنْ مَارُوا بِإِكْتَارٍ  
مثل النُّجُومِ التي يَسْرِي بِهَا السَّارِي

## (٣) جرير يهجو قبيلة تغلب قوم الأخطل:

- ١- إِنِّي حَلَفْتُ فَلَنْ أَعَا فِي تَغْلِبًا
  - ٢- قَبَحَ إِلَاهُ وَجْوهَ تَغْلِبَ إِثْهَا
  - ٣- قَبَحَ إِلَاهُ وَجْوهَ تَغْلِبَ كُلَّمَا
  - ٤- عَبَدُوا الصَّلِيبَ وَكَذَّبُوا بِمُحَمَّدٍ
  - ٥- لَا تَطْلُبَنَّ خُوُولَةَ مِنْ تَغْلِبٍ
- للظالمين عُقُوبَةً وَنَكَالًا  
هَأْتَتْ عَلَيَّ مَعَاطِسًا وَسِبَالًا<sup>(٧)</sup>  
لَبَّى الْحَجِيجُ وَكَبَرُوا إِهْلَالَ  
وَيَجْبُرِئِيلَ وَكَذَّبُوا مِيكَالًا  
فَالزُّبُجُ أَكْرَمُ مِنْهُمْ أَخْوَالًا

(\*) الأخطل: هو غياث بن غوث بن الصلت التغلبي النصراني، نشأ في الحيرة في العراق واتصل بخلفاء بني أمية ومدحهم بقصائد كثيرة، وقد توفي

سنة ٩٠هـ

(١) الراقصات: الإبل الساعية إلى مكة. والحجب والأستار: كساء الكعبة.

(٢) يقول أقسم أن قريشاً الجأني وأمنتني بعد تمديد الأنصار لي.

(٣) حدقت: أحاطت.

(٤) أحياؤها: جمع حي وهي الجماعة.

(٥) شرس: قوة.

(٦) ماروا: عاشوا في نعمة. والقصيدية في ديوانه ص ٨٣.

(٧) المعاطس: الأنوف. والسبال: شعر الشارب.

- ٦- هل تَمْلِكُونَ من المشاعِرِ مَشْعَرًا  
 أو تَنْزِلُونَ من الأَرَكَ ظِلَالًا<sup>(١)</sup>
- ٧- لَوْلَا الْجَزَى قُسِمَ السَّوَادُ وَتَغْلِبُ  
 للمسلمين فأصْبَحُوا أنْفَالًا<sup>(٢)</sup>
- ٨- لَوْ أَنَّ تَغْلِبَ جَمَعَتْ أَحْسَابَهَا  
 يَوْمَ التَّفَاضُلِ لَمْ تَزِنْ مِثْقَالَ

(٤) مالك بن الربيع يرثي نفسه لما أحسن بقرب منيته (\*):

- ١- ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلةً  
 بجنب الغضى أزجي القلاصَ النواجيا<sup>(٣)</sup>
- ٢- ألم ترني بعثت الضلالة بالهدى  
 وأصبحتُ في جيشِ ابن عفانَ غازيا<sup>(٤)</sup>
- ٣- فلله دري يوم أترك طائعاً  
 بني بأعلى الرقمتين وماليا<sup>(٥)</sup>
- ٤- ودرُّ الطباءِ السانحاتِ عشيَّةً  
 يُخَبِّرُنْ أني هالكٌ مَنْ ورائيا
- ٥- تذكرتُ من يبكي عليّ فلم أجد  
 سوى السيفِ والرمحِ الرُدَيْنيُّ باكيًا<sup>(٦)</sup>
- ٦- ولما تراءت عند مروٍ منيَّتي  
 وحلَّ بها سُقمي وحانت وفاتيَّا<sup>(٧)</sup>
- ٧- أقولُ لأصحابي ارفعوني فإني  
 يقرُّ بعيني أن سهيلٌ بدا ليَّا<sup>(٨)</sup>
- ٨- ويا صاحبي رحلي دنا الموتُ فانزلا  
 برايئةٍ إنني مقيمٌ لياليَّا
- ٩- أقيماً عليّ اليومَ أو بعضَ ليلةٍ  
 ولا تُعجلاني قد تبينَ ما ييا
- ١٠- وقومًا إذا ما استلَّ رُوجي فهَيِّئَا  
 لي السدَرَ والأكفانَ ثم ابكيا ليَّا
- ١١- وخطًا بأطرافِ الأسنَّةِ مَضْجعي  
 وردًا على عينيَّ فضلَ ردائيَّا

(١) الأراك: أراك عرفة، أي إنهم لا يحجون ولا يحلون بأراك عرفة لأهم نصارى.

(٢) الجزى: جمع جزية وهي ما يدفعه النصارى للمسلمين. السواد: ريف العراق. أنفال: غنائم. والقصيدَة في ديوان جرير ص ٤٥٠.

(\*) مالك بن الربيع: شاعر من بني تميم كان لصاً في أول حياته ثم انضم إلى الجيوش الإسلامية في خراسان وقد توفي في مرو سنة ٦٠هـ.

(٣) الغضى: شجر ينبت في الرمل. أزجي: أسوق. القلاص: جمع قلوص وهي الفتية من الإبل. النواجي: السريعة.

(٤) ابن عفان: يعني سعيد بن عثمان بن عفان، ولاة معاوية على خراسان.

(٥) الرقمتين: اسم المكان الذي فيه أهله.

(٦) الرديني: نسبة إلى ردينة وهي امرأة تبيع الرماح في الخط (القطيف).

(٧) مرو: عاصمة خراسان.

(٨) سهيل: نجم بمالي لا يرى في خراسان.

- ١٢- ولا تُحْسُدَانِي بَارِكَ اللهُ فِيكُمْمَا  
 ١٣- خُذَانِي فَجَرَّانِي بِرُدِّي إِلَيْكُمْمَا  
 ١٤- يَقُولُونَ لَا تَبْعُدْ وَهُمْ يَدْفَنُونَنِي  
 ١٥- غَدَاةَ غَدٍ يَالْهَفَ نَفْسِي عَلَى غَدٍ  
 مِنْ الْأَرْضِ ذَاتِ الْعَرْضِ أَنْ تُوسِعَا  
 فَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ صَعْبًا قِيَادِيَا  
 وَأَيْنَ مَكَانُ الْبُعْدِ إِلَّا مَكَانِيَا<sup>(١)</sup>  
 إِذَا أَدْلَجُوا عَنِّي وَخَلَّفْتُ تَأْوِيَا

### (٥) قصيدة الراعي النميري في شكوى عمال الزكاة(\*) :

- ١- أَخْلَيْفَةَ الرَّحْمَنِ إِنَّمَا مَعَشَرُ  
 ٢- عَرَبٌ نَرَى اللهُ فِي أَمْوَالِنَا  
 ٣- إِنَّ السُّعَاةَ عَصَوْكَ يَوْمَ أَمْرَتَهُمْ  
 ٤- أَخْلَيْفَةَ الرَّحْمَنِ إِنَّ عَشِيرَتِي  
 ٥- قَوْمٌ عَلَى الْإِسْلَامِ لَمَّا يَتْرَكُوا  
 ٦- أَنْتَ الْخَلَيْفَةُ عَدْلُهُ وَنَوَالُهُ  
 ٧- فَادْفَعْ مَظَالِمَ عَيْلَتِ أَبْنَاءِنَا  
 ٨- فَتَرَى عَطِيَّةَ ذَاكَ، إِنَّ أُعْطِيَتْهُ  
 ٩- إِنَّ الَّذِينَ أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعْدِلُوا  
 ١٠- أَخَذُوا الْكِرَامَ مِنَ الْعِشَارِ ظُلَامَةً  
 حُنْفَاءُ نَسَجْدُ بِكْرَةً وَأَصِيلَا  
 حَقَّ الزَّكَاةِ مُنْزَلًا تُنْزِيلَا  
 وَأَتَوْا دَوَاهِيَّ لَوْ عَلِمْتَ وَغُولَا<sup>(٢)</sup>  
 أَمْسَى سَوَامُهُمْ عَزِينَ، فَلُولَا<sup>(٣)</sup>  
 مَا عَوْنُهُمْ وَيُضَيِّعُوا التَّهْلِيلَا  
 وَإِذَا أَرَدْتَ لِظَالِمٍ تَنْكِيلَا  
 عَنَّا وَأَنْتَقِدْ شِلُونَا الْمَأْكُولَا<sup>(٤)</sup>  
 مِنْ رَبَّنَا فَضْلًا، وَمِنْكَ جَزِيلَا  
 لَمْ يَفْعَلُوا مَّا أَمَرْتَ فَتِيلَا<sup>(٥)</sup>  
 مِنَّا وَتُكْتَبُ لِلْأَمِيرِ أَفِيلَا<sup>(٦)</sup>

(١) البعد: الهلاك. والقصيدة في جمهرة أشعار العرب ٢/٧٥٨.

(\*) الراعي النميري: هو عبيد بن حصين بن معاوية بن حندل من بني نمير، شاعر فحل، توفي سنة ٩٠هـ.

(٢) غول: دواهي.

(٣) عزين: فلول: متفرقة.

(٤) عيلت: التعييل: سوء الغذاء، الشلو: العضو.

(٥) الفتيل: ما يكون في شق النواة، والمقصود: أقل القليل.

(٦) الأفيل: الصغير. والقصيدة في جمهرة أشعار العرب ٢/٩٢٢.

## دراسة مُفصَّلة للشاعرين: جرير والفرزدق:

### جرير

#### حياته:

هو جرير بن عطية بن الخَطَفَى التميمي، وأبوه عطية ليس له شأن فهو قليل الفطنة وقليل المال، أما جدُّه الخطفي فكان يقول الشعر وهو صاحب ثروة من الغنم والحمير. ولجرير أخوان هما عمرو وأبو الورد. وله من الأبناء ثمانية، ومن البنات اثنتان وكنيته أبو حزرة.

وينتسب جرير لقبيلة كليب اليربوعية التميمية، ومساكن هذه القبيلة في صحراء المروت الواقعة في الوشم، وقبيلة كليب هذه ليس لها شأن؛ فجرير عندما يفتخر، يفتخر بقبيلته الكبيرة يربوع أو يفخر بقومه بني تميم، وقد استغل الفرزدق ضعف قبيلة كليب وعدم نهايتها فأخذ يعير جريراً بقبيلته هذه وأنها لا تملك إلا الأتن والأغنام، ولا تملك الإبل وليس لها أموال كقبائل تميم الأخرى.

وقد نشأ جرير وعاش معظم حياته في صحراء المروت في الوشم، إلا أن قومه بني يربوع دعوه للإقامة في البصرة لما رأوا الفرزدق يقيم بها وينظم الأشعار في هجاء جرير وقومه، فاستجاب جرير لقومه وانحدر إلى البصرة وأقام فيها سنوات وكان ينشد شعره في سوق المربد وقد استعر المهجاء بينه وبين الفرزدق في سوق المربد، فاضطر عامل ابن الزبير على البصرة إلى هدم بيتيهما.

وجرير يتصف بالعفة وطهارة النفس والتمسك بالدين، فغزله في زوجاته وإمائه، وهجاؤه دفاع عن النفس وقبيلته. وقد عاش عيشة طيبة، فمدحه يدر عليه الأموال الطائلة إذ أنه مدح عبد الملك فأعطاه مئة ناقة جائزة له على قصيدة واحدة. ولجرير صلوات وثيقة مع ولاة اليمامة لأنه يحتاج إليهم. وقد مدح المهاجر بن عبد الله ببعض القصائد.

وقد توفي جرير سنة إحدى عشرة ومئة عن عمر يتجاوز الثمانين عاماً.

## شعره:

شعر جرير يشمل الهجاء والمدح والرثاء والغزل، وهو شعر يرق في الغزل ويكون قوياً في المدح والهجاء، وشعره كثير ومتنوع، وكان يقول عن نفسه: (أنا مدينة الشعر).

وجرير شاعر مطبوع يقول الشعر استجابة لسجيته وطبيعته؛ فشعره خال من التكلف وهذا هو السبب الذي جعل أسلوبه عذباً ليناً لا قسوة فيه ولا جفاء. وأكثر شعره في الهجاء ثم يليه المدح، وله رثاء جيد، أما غزله فهو قليل، وجرير رجز ولكنه قليل، وهذه هي أهم أغراض شعره:

## الهجاء:

الهجاء من أشهر أغراض شعره فقد تهاجى مع ثلاثة وأربعين شاعراً، وقيل أكثر من ذلك، وهجاء جرير من أقسى الهجاء، وقد صمد في هجائه لعدد كبير من الشعراء حتى أخذ يقول:

عوى الشعراء بعضهم لبعضٍ      عليّ فقد أصابهم انتقامٌ  
إذا أرسلت قافيةً شروداً      رأوا أخرى تُحرقُ فاستداموا<sup>(١)</sup>  
فمُظلمُ المسامع أو خصيٌّ      وآخرُ عظمُ هامتهِ خطامٌ<sup>(٢)</sup>

وإذا نظرنا إلى هجائه وجدناه موجعاً وسائراً بين الناس؛ فقصيدته في بني نمير أخزتهم، وأخذ الناس يتناقلون هذا البيت:

فغضَّ الطرف إنك من نميرٍ      فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

ومن هجائه قوله يهجو الأخطل وقبيلته تغلب:

خابت بنو تغلب إذ ضلَّ فارطهم<sup>(٣)</sup>      حوض المكارم إن المجد مُبَدَّرُ  
الظاعنون علي العمياء إن ظعنوا      والسائلون بظهر الغيب ماخبرُ  
أحياؤهم شرُّ أحياءٍ وأأمه      والأرضُ تلفظُ موتاهم إذا قُبروا

(١) استداموا: انتظروا.

(٢) الاصطلام: القطع. والأبيات في ديوان جرير ٥١٣.

(٣) الفارط: الذي يتقدم قبل الإبل ليسقيها.

وما لتغلب إن عُدتْ مساعيها      نجمٌ يضيءُ ولا شمسٌ ولا قمرٌ

### المدح:

جرير من الشعراء الذين يُسَخَّرُونَ قصائد المدح لطلب المال فهو عندما يمدح خليفة من بني أمية أو عاملاً من عمالهم فإنما يمدحه من أجل العطاء، وهو يضيف على ممدوحه الصفات التقليدية من كرم وشجاعة ووفاء ولكن قصائد المدح لا تخلو من المعاني الإسلامية. فهو يقول في مدحه لعبد الملك بن مروان:

ثقي بالله ليس له شريكٌ      ومن عند الخليفة بالنجحاح  
أغثنِي يا فداك أبي وأمي      يسئِبُ منك إئُك ذو ارتياح  
فإني قد رأيتُ عليَّ حقاً      زيارتي الخليفة وامتداحي  
سأشكر إن رددتَ عليَّ ريشي      وأبَّت القوادِمَ في جناحي  
ألستم خيرَ من ركب المطايا      وأندى العالمين بطنون راح

وقد مدح الحجاج وعمر بن عبد العزيز والمهاجر بن عبد الله الكلابي وغيرهم من خلفاء بني أمية وعمالهم. وقد قال في عمر بن عبد العزيز:

نال الخلافة إذ كانت له قدراً      كما أتى ربُّه موسى على قدر  
ولكن عمر لم يعطه شيئاً وعندما رجع إلى قومه قال:  
تركت لكم بالشام جبلَ جماعةٍ      أمين القوي مستحصد العقْدِ باقيا  
وجدتُ رُقى الشيطانِ لا تستغزُهُ      وقد كان شيطاني من الجنِّ راقيا

### الرتاء:

لم يكن الشعر الذي قاله جرير في الرثاء كثيراً إذ لا يقارن بالمدح والهجاء ولكنه شعر خارج من القلب؛ فقد فقد زوجته ورثاها بشعر تظهر فيه لوعة الحزن وألم الفراق حيث يقول:  
لولا الحياء لعادني استعبارٌ      ولزرتُ قبرك والحبيب يُزارُ

لَا يَلْبَثُ الْقُرْبَاءُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا      لَيْلٌ يَكْرُهُ عَلَيْهِمْ وَنَهَارٌ

أما رثاؤه لابنه سودة فهو رثاء الأب الحاني على ابنه فهو يلتمس العزاء ولا يجده على الرغم من معرفته التامة لما يناله الصابر من الأجر، يقول جرير:

فَارَقْتَنِي حِينَ كَفَّ الدَّهْرُ مِنْ بَصْرِي      وَحِينَ صِرْتُ كَعَظْمِ الرِّمَّةِ الْبَالِي  
إِلَّا تَكُنْ لَكَ بِالْدَيْرَيْنِ بَاكِيَةً      فَرُبَّ بَاكِيَةٍ بِالرَّمْلِ مِعْوَالٍ<sup>(١)</sup>  
قَالُوا نَصِيْبِكَ مِنْ أَجْرٍ فَقُلْتُ لَهُمْ      كَيْفَ العَزَاءُ وَقَدْ فَارَقْتَ أَشْبَالِي

### الغزل:

يتميز غزل جرير بالرقّة والعدوبة، وهو قليل إذا قيس بالأغراض الأخرى، وجرير يبعد عن

الفحش في غزله، ويمتاز بالرقّة واللين في أسلوبه، ومن غزل جرير قوله:

إِنَّ العُيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ      قَتَلْنَنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنَا قَتْلَانَا  
يَصْرَعْنَ ذَا اللُّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهِ      وَهِنَّ أضعَفُ خَلْقِ اللهِ أَرْكَانَا  
أَتَّبَعْتُهُمْ مُقَلَّةً إِنْسَانُهَا غَرِقٌ      هَلْ مَا تَرَى تَارِكٌ لِلْعَيْنِ إِنْسَانَا

(١) الديرين: هما دير فطرس ودير بولس في غوطة دمشق وكان سودة قد مات هناك.

## قصيدة جرير في مدح عبد الملك بن مروان

- ١- أَتَصْحُوْ أُم فَوَادُكْ غَيْرُ صَاحِ عَشِيَّةَ هَمَّ صَحْبُكَ بِالرَّوَّاحِ
- ٢- تَقُولُ الْعَاذِلَاتُ عَلَكَ شَيْبٌ أَهَذَا الشَّيْبُ يَمْنَعُنِي مِرَاحِي
- ٣- تَعَزَّتْ أُمُّ حَزْرَةَ ثَمَّ قَالَتْ رَأَيْتِ الْوَارِدِينَ ذَوِي لِقَاحِ
- ٤- تُعَلِّلُ وَهِيَ سَاغِبَةٌ بِنَيْهَا بِأَنْفَاسٍ مِنَ الشَّبْمِ الْقَرَّاحِ
- ٥- سَأَمْتَا حُ الْبَحْرُورَ فَجَنَّبِيْنِي أَذَاةَ اللَّوْمِ وَانْتَظِرِي امْتِيَّاحِي
- ٦- ثَقِي بِاللَّهِ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ وَمَنْ عِنْدَ الْخَلِيْفَةِ بِالنَّجَاحِ
- ٧- أَغْنِيَنِي يَا فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي بِسَيْبٍ مِنْكَ إِنَّكَ ذُو ارْتِيَّاحِ
- ٨- فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتَ عَلِيَّ حَقًّا زِيَارَتِي الْخَلِيْفَةَ وَامْتِدَاحِي
- ٩- سَأَشْكُرُ إِنْ رَدَدْتَ عَلَيَّ رِيْشِي وَأَبَّتِ الْقَوَادِمَ فِي جَنَاحِي
- ١٠- أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكَبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونًا رَاحِ
- ١١- أَبْخَتَ حَمِي تَهَامَةً بَعْدَ نَجْدٍ وَمَا شَيْءٌ حَمَيْتَ بِمُسْتَبَاحِ
- ١٢- لَكُمْ شُمُّ الْجِبَالِ مِنَ الرُّوَاسِي وَأَعْظَمُ سَيْلٍ مُعْتَلَجِ الْبَطَّاحِ
- ١٣- فَمَا شَجَرَاتِ عَيْصِكَ فِي قَرِيْشِ بَعَثَاتِ الْفُرُوعِ وَلَا ضَوَاحِي
- ١٤- رَأَى النَّاسُ الْبَصِيْرَةَ فَاسْتَقَامُوا وَيَبْنَتُ الْمِرَاضُ مِنَ الصَّحَّاحِ

## المناسبة:

كان جرير يقيم في العراق من وقت لآخر فيمدح الحجاج بقصائد جيدة، وعندما أكثر جرير من مدحه قال له: إن طاقتي تعجز عن مكافأتك ولكني سأرسلك إلى من هو أقدر مني وهو الخليفة عبد الملك بن مروان، فأرسل الحجاج جريراً إلى عبد الملك وكتب معه خطاباً إليه، وكان جرير قد أعد هذه القصيدة، وعندما أُذن له بالدخول على عبد الملك أنشده هذه القصيدة، فأستحسنها الخليفة وقال لمن حوله: من مدحنا منكم فليمدحنا بمثل هذا أو ليسكت، وقد كافأ جريراً على قصيدته هذه مكافأة جزيلة وهي مئة من الإبل، وثمانية أعبد، ومحب من فضة.

## شرح الأبيات:

- (١) أتصحو أيها الشاعر من الحيرة التي ألت بك في ذلك المساء الذي عزم فيه أصحابك على المسير أما يبقى سادراً في غيه وحيrote.
- (٢) لقد أكثرت النساء من لومي ورميي بالكبر وظهور الشيب، وردى على ذلك اللوم هو أن الشيب لا يمنع الرجل من أن يكون مرحاً.
- (٣-٤) أم حزره: زوجة جرير. الواردين: أصحاب الإبل يوردونها الماء. لقاح: إبل كريمة. ساغبة: جائعة. أنفاس: جمع نفس والنفس: جرعة الماء. الشبم: البارد. والقراح: الخالص..
- عندما رأت أم حزره وفرة اللبن عند غيرها من الناس أخذت تعزي نفسها وهي أشد ما تكون من الجوع، وبدأت تلهي أبناءها بجرعات من الماء البارد النقي لعله يعوضهم عن اللبن المفقود.

## (٥-٦) الميح: العطاء

- سأطلب العطاء من خلفاء بني أمية الذين يشبهون البحور في كرمهم ونواهم، فدعي لومي وانتظري عودتي بالعطاء. وثقي بالله أني لن أعود من الخليفة خائباً بل سأجح في مساعي.
- (٧-٨) سيب: عطاء. ارتياح: تحرك للعطاء وهشاشة له.

أنقذني أيها الخليفة بعطاء يمنع عني الفقر فإنني أراك ترتاح للعطاء وتهش له وقد، رأيت أن من واجبي زيارة الخليفة ومدحه.

(٩) القوادم: ريشات في جناح الطائر.

إنني أشكرك أيها الخليفة عندما تتفضل علي بالمال الذي يكسوني بالزينة كما يكتسي الطائر بريشه وينهض بي كما تنهض القوادم بالطائر

(١٠) ليس غريباً عليكم العطاء، فأنتم أفضل من ركب الإبل، وأنتم أكرم الناس أجمعين فأيديكم مستمرة في العطاء

(١١) لأنك شجاع ومهاب فإنك تحمي ما تشاء وتبيح الحمى الذي تريد دون أن يعترض أحد على ذلك.

(١٢) شم: عالية. معتلج: كثير يركب بعضه بعضاً.

إنكم تملكون الجبال العالية الراسية، والأودية العظيمة، فلکم جبال مكة وبطحاؤها، فأنتم أهلها وليس ابن الزبير المدعي بملكيتها.

(١٣) العيص: الأصل وهو منبت خيار الشجر. العشة: الشجرة اللثيمة المنبت الدقيقة القصبان.

الضواحي: بادية العيدان. والعيص هنا: الأصل

إن أصلك يا عبد الملك في قريش أصل راسخ قوى الجذور، سالم من اللؤم والدناءة

## الفرزدق

### حياته:

هو همام بن غالب بن صعصعة. من مجاشع بن دارم، وهي إحدى قبائل تميم المشهورة في الجاهلية والإسلام، وزعماء هذه القبيلة في الجاهلية هم أجداد الفرزدق؛ فجده صعصعة، كان كريماً عظيم القدر وكان ينهى قومه عن وأد البنات، وقد اشترى كثيراً من المؤذات قيل إنها تصل إلى أربع مئة، وقد وفد صعصعة على الرسول ﷺ وأسلم.

أما والد الفرزدق فهو غالب وكان زعيم مجاشع في الإسلام، وقد اشتهر بكرمه في عام المجاعة في زمن علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ حيث أخذ ينحر كل يوم عشراً من الإبل ويطعمها الفقراء، فقبيلة الفرزدق لها شأن عظيم في الجاهلية والإسلام وهذا هو السبب الذي جعل الفرزدق يفتخر بنسبه وقبيلته. ومساكن هذه القبيلة في كاظمة وما حولها الآن في الكويت، والفرزدق يقيم في البصرة أحياناً، ولكن معظم إقامته في البادية في مساكن قبيلته.

ولد الفرزدق في كاظمة، ونشأ في بيت عز وسيادة، والفرزدق لقبه، ولقب به لجهامة وجهه تشبيهاً له بالفرزدقة وهي الخبزة. وقد تربى الفرزدق على الصفات الجاهلية الموروثة من القبيلة ذات العز والشرف، وكان مطلعاً على تعاليم الإسلام ولكن معظم قيمه استمدتها من الجاهلية، فهو يجير من استجار بقبر أبيه غالب، وينحر الإبل على قبور أصدقائه الذين ماتوا قبله.

ومن صفات الفرزدق أنه ذكي، سريع الجواب، حاضر البديهة، عزيز النفس لا يُذِل نفسه أبداً. وقد تزوج الفرزدق أكثر من واحدة، ولكن زوجته النوار اشتهرت أكثر من غيرها لمطالبتها بالطلاق ورفع ذلك إلى ابن الزبير في مكة. وقد عاش الفرزدق حياة كريمة لا يتقرب فيها إلى الولاة والخلفاء فقد طلبه زياد بن أبيه والي العراق فهرب إلى سعيد بن العاص والي المدينة، فلما تولاه مروان بن الحكم أنذره فخرج من المدينة، وفي هذه الفترة توفي زياد وتولى العراق ابنه عبيد

الله فرجع الفرزدق إلى العراق.

وفي ولاية بشر بن مروان على العراق حسنت علاقة الفرزدق بالوالي لأن الفرزدق يرى أن بشراً أهل للصدافة لأنه أخو الخليفة، وأما علاقته بالحجاج فهي علاقة يلفها الخوف. ولم يفد الفرزدق على الخلفاء إلا في آخر حياته لأنه يرى أنه نذُّ لهم. وقد توفي بالبصرة سنة عشر ومئة للهجرة.

### شعره:

الفرزدق شاعر فحل؛ وعندما سئل عن مجيء الشعر له قال: إنما أتاني الشعر من قبل خالي العلاء بن قرظة الضبي، وكان العلاء شاعراً. وشعر الفرزدق قوي يكثر فيه الغريب، وقد تأثر بحياة البداوة وبرز ذلك في شعره من ناحية المعاني والأسلوب، وشعره وإن كانت معانيه تميل إلى مثل العرب في الجاهلية فإنه يشتمل على معان إسلامية كثيرة منها قوله:

وَلَنْ يُقَدِّمَ نَفْسًا قَبْلَ مِيَّتِهَا جَمْعُ الْيَدَيْنِ وَلَا الصَّمْصَامَةُ الذَّكْرُ<sup>(١)</sup>

وقوله:

وَلَسْتُ بِمَا خُوذِ بَلْعُو تَقُولُهُ إِذَا لَمْ تَعْمَدُ عَاقِدَاتِ الْعَزَائِمِ

وقد قال الفرزدق الشعر في أغراض مختلفة ولكن أهم أغراض شعره هي: الفخر والمدح والمهجاء.

### الفخر:

عندما يفتخر الفرزدق فإنه يعتمد على قاعدة قوية من الجحد والشرف؛ فجده صعصعة سيد مطاع في قومه وقد اشترى كثيراً من المؤودات وله عدد كثير من العبيد. وأبوه غالب من زعماء تميم في الإسلام وقد اشتهر بالكرم.

والمعاني التي يشتمل عليها فخر الفرزدق هي الشرف وكثرة العدد والطاعة في القبيلة،

(١) الصمصامة الذكر: السيف القاطع.

والكرم، والحلم. وأسلوبه في الفخر أسلوب قوي متين تتخلله الألفاظ الغريبة، وخير ما يمثل فخر الفرزدق قوله:

لنا العِزَّةُ القعساء والعُدُد الذي  
تري الناسَ ما سِرْنَا يسرون خَلْفَنَا  
وقد علم الجيرانُ أنَّ قُدورَنَا  
عليه إذا عُدَّ الحصى يَتَخَلَّفُ<sup>(١)</sup>  
وإنَّ نَحْنُ أومأنا إلى النَّاسِ وقَفُوا  
ضَوامِنُ للأرزاقِ والريحُ زَفَزَفُ

### المدح:

لم يكن الفرزدق يمدح ليجمع المال لأنه في غنى عن ذلك لثراء أسرته، ولكنه مدح بعض ولاة العراق ليتقرب إليهم إما لحاجات قبيلته وإمّا للخوف من شرهم، وقد مدح من أولئك الأمراء الحجاج ويزيد بن المهلب، أما خلفاء بني أمية فقد بقي الفرزدق بعيداً عنهم لا يذهب إلى دمشق ولا يمدحهم، إلى أن اضطرته حاجات قبيلته تميم إلى الذهاب للخليفة سليمان بن عبد الملك؛ فمدحه وشرح له الوضع القائم بين قيس و تميم.

ومن أشهر مدائحه قصيدته التي مدح بها زين العابدين علي بن الحسين ومنها:

هذا الذي تعرفُ البطحاءُ وطأتهُ  
هذا ابنُ خيرِ عبادِ اللهِ كُلِّهِمُ  
هذا ابنُ فاطمةٍ إن كنتَ جاهلَهُ  
سهلُ الخليفة، لا تُخشى بوادرهُ  
ما قال: لا قَطُّ إلا في تشهدهِ  
لولا التشهدُ كانت لاءه نَعَمُ  
والبيتُ يعرفه والحِلُّ والحرمُ  
هذا التَّقِيُّ التَّقِيُّ الطاهرُ العلمُ  
بجده أنبياءُ اللهِ قد خَتَمُوا  
يزينه اثنان: حُسْنُ الخَلْقِ والشيمُ<sup>(٢)</sup>  
لولا التشهدُ كانت لاءه نَعَمُ

### الهجاء:

قال الفرزدق كثيراً من الهجاء في جرير، وشعر النقائض يشتمل على هجاء الفرزدق لجرير.

(١) القعساء: الثابتة.

(٢) الخليفة: الطبيعة. بوادره: جمع بادرة وهي الحدة.

وهجاؤه في معظمه مقرون بالفخر، وهو يُعَيَّرُ جريراً بأن ماله من الحمير، وأن قبيلته كليباً ليس لها شأن، وأنه كلبُ قيس. ومن هجاء الفرزدق قوله:

قَنَافِدُ دَرَا جُونٍ حَوْلَ جِحَاشِهِمْ      لَمَّا كَانَ إِيَّاهُمْ عَطِيَّةً عَوْدًا

وللفرزدق هجاء في بني قيس بن عاصم المنقري وغيرهم، ولكن معظم هجائه في جرير، ومما

قاله في بني قيس بن عاصم عندما لجأت إليهم زوجته النوار:

بَنِي عَاصِمٍ لَا تُلَجُّوْهَا فَإِنَّكُمْ      مَلَاجِيءُ لِّلسَّوَاتِ دُسْمُ الْعَمَائِمِ<sup>(١)</sup>

---

(١) دسم العمائم: أي عمائمكم وسخة قذرة.

## قصيدة الفرزدق في وصف الذئب

- ١- وَأَطْلَسَ عَسَّالٍ وَمَا كَانَ صَاحِبًا
  - ٢- فَلَمَّا دَنَا قَلَّتْ أَدْنُ دُونَكَ إِنِّي
  - ٣- فَبِتَ أَسْوَى الزَادِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
  - ٤- فَقَلَّتْ لَهُ لَمَّا تَكَشَّرَ ضَاحِكًا
  - ٥- تَعَشَّ فَإِنْ وَاثَقْتَنِي لَا تَحُونِي
  - ٦- وَأَنْتَ امْرُؤٌ يَا ذئْبَ وَالْغَدْرُ كَتَمَا
  - ٧- وَلَوْ غَيْرِنَا نَبَّهْتَ تَلْتَمِسُ الْقَرَى
- دَعَوْتُ بِنَارِي مَوْهِنًا فَأَتَانِي  
وَإِيَّاكَ فِي زَادِي لَمْ شَتَّرِ كَانِ  
عَلَى ضَوْءِ نَارِ مَرَّةٍ وَدُخَانِ  
وَقَائِمُ سَيْفِي مِنْ يَدِي بِمَكَانِ  
نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَا ذئْبُ يَصْطَحِبَانِ  
أَخْيَيْنِ كَانَا أَرْضِيعًا بِلَبَانِ  
أَتَاكَ بِسَهْمٍ أَوْ شَبَابَةٍ سِنَانِ

### مناسبة القصيدة:

كان الفرزدق قد خرج من الكوفة هو وبعض أصحابه، ولما طال بهم المسير أناخوا ركاهم في منتصف الليل وناموا، وكانوا قد هيؤوا للعشاء شاة وسلخوها وعلقوها على جمل لهم، ولكن النوم غلبهم فاستجابوا له، وبينما هم في نومهم إذ هجم ذئب على تلك الشاة المسلوخة وأخذ ينهشها، فاستيقظ الفرزدق، وأناخ الإبل وقطع رجل الشاة ورمها للذئب، فأخذها الذئب وتنحى جانباً وأكلها ثم عاد، فما كان من الفرزدق إلا أن قطع له يد الشاة فأخذها الذئب وذهب لسبيله. وفي الصباح قص الفرزدق على أصحابه ما كان بينه وبين الذئب.

### شرح الأبيات:

(١) أطلس: أغبر عسال: يهتز ويضطرب في سيره. الموهن: نصف الليل.

إن ناري في الليل المظلم ترحب بالجائع، وقد اهتدى بها ذئب أغبر اللون يضطرب في مشيته وفد علي في نصف الليل.

- (٢) ولما اقترب ناديته أن يدنو مني، ولاطفته ليشارك معي في طعامي.
- (٣) فأخذت أقطع له اللحم في تلك الليلة، مهتدياً بضوء ناري، وأحياناً لا يتيح لي الفرصة لمواصلة اشتعال النار فأكتفي بدخان النار.
- (٤-٥) ولما رأيته قد كشف عن أسنانه استعداداً للاقتراس والعراك، قلت له تعش فاللحم أمامك فإن أعطيتني موثقاً بعدم الخيانة فإنني وإياك سنصبح صديقين، أقول ذلك وقد وضعت مقبض سيفي في يدي لأنني أعرف أن ضحك الذئب غير ضحكنا.
- (٦) اللبان: الرضاع.
- إنك أيها الذئب أخ للغدر فقد رضعتما من لبان واحد فكيف تفرقان؟
- (٧) القرى: ما يقدم للضيف. السنان: نصل الرمح. وشباته: حد طرفه. لو طرقت غيرنا أيها الذئب تطلب الطعام أذاك سهم منطلق أو حربة سنان حادة..

## مناقشة

- ١ - تحدث عن الأغراض الجديدة في الشعر في العصر الأموي.
- ٢ - اذكر الخصائص التي تميز بها الشعر في هذا العصر.
- ٣ - إلى أي القبائل ينتسب كل من جرير والفرزدق؟
- ٤ - قيل "جرير يغرف من بحر، والفرزدق ينحت من صخر" ناقش هذا القول.
- ٥ - تحدث عن الفخر عند الفرزدق، والغزل عند جرير.

## النثر في العصر الأموي

تطور النثر في العصر الأموي وتعددت أغراضه تبعاً لتطور العقلية العربية والإسلامية؛ فالخطب تعددت أنواعها، والرسائل تحولت في بعض صورها إلى مُحاجةٍ تشتمل على الجدل وتعتمد على الإقناع وبسط الكلام.

وبجانب الخطب والرسائل محاضرات الوعاظ التي تطول ويصعب حفظها، فقد كان الحسن البصري وغيره يجلسون للوعظ في المساجد فيتدفق الكلام من أفواههم في أسلوب يجلب الألباب. ونجد من أنواع النثر في هذا العصر المناظرات التي تعقد بين المعتزلة والقدرية والمرجئة والخوارج، ومن أهم أنواع النثر في هذا العصر: الخطب والرسائل.

### الخطابة

#### أنواعها:

( أ ) **الخطابة الدينية.** وهي تشمل خطب الجمعة والعيدين، ومادتها الوعظ والإرشاد وتبيين أمور الدين، وقد تعمد إلى الترغيب والترهيب. وينهض بها في مركز الخلافة الخليفة، وفي الولايات الولاية، ويوجد خطباء مشهورون بخطبهم الدينية بجانب الخلفاء والولاة، من أولئك عبد الله بن عمرو بن العاص، وسعيد بن المسيب، ومالك بن دينار، وإياس بن معاوية قاضي البصرة، والحسن البصري.

( ب ) **الخطب السياسية.** وهدفها إقناع المسلمين برأي سياسي يستحسن الناس به الحكم القائم، أو يقوم على أساسه حكم جديد؛ فبنو أمية يثبتون حكمهم عن طريق الخطب السياسية، والشيعية يسعون لإقناع المسلمين بآرائهم تمهيداً لقيام حكمهم، والخوارج يخطبون في الناس ليقوموا حكماً يختلف عن حكم الأمويين والشيعية، والزبيريون أقاموا حكماً مبنياً على

آرائهم. وهم يسعون إلى تثبيته عن طريق الخطب.

ومن أشهر خطباء السياسة: معاوية، والحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم، وعبد الملك بن مروان، وزيايد بن أبيه، والحجاج، وقطري بن الفجاءة، وعمران بن حطان. (ج) **خطابة الوفود.** ويقصد بها الوفود التي تفد على الخليفة إما لتهنئة أو تعزية أو تأييد رأي سياسي، ومن أشهر خطباء الوفود: سحبان خطيب وائل، والأحنف بن قيس خطيب تميم. (د) **خطابة الحرب.** وهي خطب القواد في جيوشهم وتهدف هذه الخطابة إلى تحميس الجند للقتال، ومن القواد الذين اشتهروا بخطبهم قتيبة بن مسلم الباهلي، وطارق بن زياد.

### أسباب الخطابة:

- ١- وجود الاتجاهات السياسية التي يمثلها الأمويون وهم الخلفاء، والزبيريون، والشيعة، والخواارج.
- ٢- وجود الفرق الدينية من جبرية، ومرجئة، وقدرية، ومعتزلة.
- ٣- قيام الفتن مثل فتنة عمرو بن سعيد بن العاص على عبد الملك بن مروان، وفتنة ابن الأشعث على الحجاج، وفتنة قتيبة بن مسلم على سليمان بن عبد الملك.

### أسلوب الخطابة:

أسلوب الخطابة متنوع، فأسلوب الخطابة الدينية أسلوب واضح بعيد عن الكلمات الغريبة ولكنه لا يصل إلى حد الابتذال. وأسلوب الخطب السياسية أقوى؛ حيث يشتمل على بعض الكلمات الغريبة. وأسلوب خطب الوفود منه ما هو مختصر مثل خطب الأحنف بن قيس، ومنه ما هو مبسوط ومطول مثل أسلوب سحبان وائل. وأما خطب الحرب فأسلوبها حماسي.

## الرسائل

كثرت الرسائل في العصر الأموي؛ لتفرق العرب في الأمصار، ولتعدد ولايات الدولة، ولكثرة الاتجاهات السياسية والفرق الدينية، والرسالة لا بد منها للاتصال بين الخليفة وولاته، أو بين أصحاب الفرق الدينية والسياسية.

### أنواع الرسائل:

( أ ) الرسائل السياسية: وهي التي تكون بين الخليفة وولاته أو بين الوالي وزعيم اتجاه سياسي، ومنها رسائل أهل العراق إلى الحسين بن علي، ورسائل الحجاج إلى الخوارج. ومعاني هذه الرسائل لا تلتزم الترتيب الدقيق، وأما أسلوبها فهو قوي وخصوصاً رسائل الحجاج وقطري بن الفجاءة.

( ب ) الرسائل الوعظية: وهي التي ترسل من أجل الوعظ وترقيق القلوب، وهذه الرسائل تشتمل على الوعظ والإرشاد والترغيب والترهيب، وهي رسائل طويلة وأسلوبها سهل ليس فيه غريب ولا غموض.

( ج ) الرسائل الشخصية: وتشتمل على التهئة والتعزية، والعتاب والاعتذار، والشفاعة، وأسلوبها سهل ونخال من التكلف في الغالب.

( د ) الرسائل الديوانية: تشمل رسائل الدولة الرسمية، ولا يكتب في الديوان إلا من عرف بإجادته للكتابة وكان قادراً على انتقاء الألفاظ وحسن أداء المعاني التي يطلب منه إيداعها في الرسالة.

## أطوار الرسائل:

- الرسائل بأنواعها السياسية والوعظية والشخصية والديوانية مرت بمراحل ثلاث:
- ١- ففي أول العصر كان الخليفة يملئ على الكاتب فتكون الرسالة من إنشاء الخليفة أو الوالي وأسلوبها في هذه المرحلة قوي متين، ويشتمل على الألفاظ الغريبة، ولا تخلو من السجع، ومن كتاب الرسائل في هذه المرحلة: معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وعبد الملك بن مروان، والحجاج، وقطري بن الفجاءة، ومن كتاب الرسائل الذين يملئ عليهم أو ينشئونها أحياناً: عمرو بن سعيد الملقب بالأشدق وكان يكتب لمعاوية، وروح بن زباع الجذامي لعبد الملك، ويحيى بن يعمر ليزيد بن المهلب، ثم استقدمه الحجاج.
  - ٢- وفي وسط العصر الأموي وبعد أن حوّلت الدواوين إلى العربية ومنها ديوان الرسائل أصبح للرسائل كتاب متفرغون يختارون اختياراً. فالمعاني تملئ عليهم ثم يصوغونها بأساليبهم. وهؤلاء الكتاب يعنون بانتقاء الألفاظ وتنسيق التراكيب. وقد برزت الرسالة الوعظية في هذه المرحلة بأسلوبها السهل ومعانيها المشتملة على الوعظ والإرشاد. أما الرسائل السياسية فقد أصبحت جزءاً من الرسائل الديوانية. ولم يتغير أسلوب الرسائل الشخصية تغيراً كبيراً.
  - ٣- وفي آخر العصر الأموي برزت الكتابة الفنية في رسائل سالم مولى هشام بن عبد الملك وابنه عبد الله وعبد الحميد الكاتب، وهذه الرسائل تتميز بطولها فهي تبلغ أربعين صفحة وأحياناً أكثر، وأسلوب رسائل هذه المرحلة أسلوب سهل يتخلله السجع، وتصدر الرسالة بالتحميد وتشتمل على عدة أغراض لطولها. وقد تأثر أسلوبها بأسلوب الوعّاظ كالحسن البصري، وواصل بن عطاء حيث نجد الكلمات المترادفة. ولا نجد في ألفاظ الرسائل كلمات غريبة وإنما هي مختارة ومنتقاه، ومعاني الرسائل في هذه المرحلة مرتبة وواضحة وبعيدة عن الغموض.

## نماذج من النثر الأموي

### خطبة معاوية عندما أحسَّ بقرب وفاته:

"أيها الناس، إنا قد أصبحنا في دهر عُنُود<sup>(١)</sup> وزمن شديد، يُعَدُّ فيه المحسن مسيئاً، ويزداد فيه الظالم عُتُوًّا، لا ننتفع بما علمنا، ولا نسأل عما جهلنا، ولا نَتَّخِذُ قَارِعَةً<sup>(٢)</sup> حتى تَحِلَّ بنا. فلتكن الدنيا في أعينكم أصغر من حُثَالَةِ الْقَرْظِ، وقُرَاضَةِ الْجَلَمِينِ<sup>(٣)</sup>، وأتَعظُوا بَمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، قبل أن يَتَّعِظَ بكم من يأتي بعدكم، فإفضوها ذميمة<sup>(٤)</sup>، فإنها قد رفضت من كان أشغف بها منكم".

### خطبة الحسين في السنة التي قتل فيها:

"إنه قد نزل من الأمر ما قد ترون، وإن الدنيا قد تغيرت وتنكرت، وأدبر معروفها واستمرت جدًّا، فلم يبق منها إلا صُبَابَةٌ<sup>(٥)</sup> كصباية الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل<sup>(٦)</sup>، ألا ترون أن الحق لا يعمل به، وأن الباطل لا يتناهى عنه! لِيَرْغَبِ الْمُؤْمِنُ فِي لِقَاءِ اللَّهِ مُحِقًّا، فإني لا أرى الموت إلا شهادة، ولا الحياة مع الظالمين إلا بَرَمًا<sup>(٧)</sup>".

### خطبة عبد الله بن الزبير عندما علم بمقتل أخيه مصعب في العراق:

"الحمد لله الذي يُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ، إنه لن يذلَّ من كان الحق معه وإن كان فردًّا، ولن يُعِزَّ من كان أولياء الشيطان حزبه وإن كان معه الأنام. أتانا خبر من قبل العراق أجزعنا

(١) عنود: جائر.

(٢) القارعة: الخطب الذي يقرع أي يصيب.

(٣) القرظ: شجر وحثالته ما يتساقط من ورقهن وقراضة الجلمين: ما يتساقط من الصوف وغيره عند ما يقص.

(٤) يعني الدنيا. والخطبة في البيان والتبيين ٥٨/٢ وعيون الأخبار ٢/٢٣٧.

(٥) الصباية: البقية القليلة.

(٦) المرعى الوبيل: الوحيم.

(٧) برم: ضجر. والخطبة في تاريخ الطبري ٥/٤٠٣.

وأفرحنا: قتل مصعب رحمه الله، فأما الذي أحزننا من ذلك فإن لفراق الحميم لذةً يجدها حميمه عند المصيبة به، ثم يرعوي بعدها ذوو الرأي إلى جميل الصبر وكريم العزاء. وأما الذي أفرحنا من ذلك فعلمنا أن قتله شهادة، وأن ذلك لنا وله الخيرة.

ألا إن أهل العراق أهل الشقاق والنفاق باعوه بأقل ثمن كانوا يأخذونه به. إنا والله ما نموت حبجاً<sup>(١)</sup> ولا نموت إلا قتلاً، فَعَصاً<sup>(٢)</sup> بالرماح تحت ظلال السيوف، ليس كما تموت بنو مروان، والله إن قتل رجل منهم في جاهلية ولا إسلام. ألا إنما الدنيا عارية من الملك الأعلى الذي لا يبذل ذكره ولا يذل سلطانه فإن تُقبل علي لا آخذها أخذ البطر الأشر، وإن تدبر عني لا أبك عليها بكاء الحرف المهتر<sup>(٣)</sup>.

### تأبين فرعانة بنت أوس بن حَجَر للأحنف بن قيس<sup>(٤)</sup>:

" إنا لله وإنا إليه راجعون، رحمك الله أبا بحر من مَجَن في جَنَن<sup>(٥)</sup> ومُدْرَج في كفن، فولذي ابتلانا بفقدك، وأبلغنا يوم موتك، لقد عشتَ حميداً، ومُتَّ فقيداً، ولقد كنت عظيم الحلم، فاضل السُّلَم، رفيع العماد، واري الزناد، منيع الحریم، سليم الأديم، وإن كنت في المحافل لشريفاً، وعلى الأرامل لعطوفاً، ومن الناس لقريباً، وفيهم لغريباً، وإن كنت لمُسَوِّداً، وإلى الخلفاء لمَوْفِداً، وإن كانوا لقولك مستميعين، ولرأيك لمتبعين".

(١) الحبيج: أن يأكل البعير كثيراً من العرفج فيموت. ويقصد ابن الزبير أننا لا نموت بالتنخمة كبنى أمية.

(٢) فعصه: قتله مكانه.

(٣) الحرف: من ذهب عقله بسبب الكبر. والمهتر: من ذهب عقله بسبب المرض أو الحزن. والخطبة في عيون الأخبار ٢/٢٤٠؛ وتاريخ الطبري ١٦٦/٦.

(٤) التأين: رثاء الميت والثناء عليه، وتعدد محاسنه. وفرعانة امرأة من بني تميم، والأحنف توفي سنة ٦٧هـ.

(٥) الجنن: القبر لأنه يجن الموتى أي يخفيهم عن الأنظار.

## دراسة أدبية لرسالة عبد الحميد الكاتب إلى الكُتَّاب

### النص:

"أما بعد، حفظكم الله يأهل صناعة الكتابة، وحاطكم ووفقكم وأرشدكم! فجعلكم معشر الكتاب - في أشرف الجهات - أهلَ الأدب، والمروعة والعلم والرواية. فتنافسوا يا معشر الكُتَّاب في صنوف الآداب، وتفقهوا في الدين، وابدؤوا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ثم العربية فإنها ثقاف<sup>(١)</sup> أَلَسْتُمْ، ثم أجيدوا الخط فإنه حليّة كُتِّبكم، وارووا الأشعار، واعرفوا غريبها ومعانيها، وأيام العرب والعجم، وأحاديثها وسيرها فإن ذلك مُعينٌ لكم على ما تسمو إليه هممكم، ولا تُضَيِّعُوا النظرَ في الحساب، فإنه قوامُ كُتَّاب الخراج<sup>(٢)</sup>. وارغبوا بأنفسكم عن المطامع سنيها ودنيها، وسفساف الأمور ومحاقرها، فإنها مذلةٌ للرقاب مفسدةٌ للكُتَّاب، ونزهوا صناعتكم عن الدناعات، واربؤوا بأنفسكم<sup>(٣)</sup> عن السعاية والنميمة وما فيه أهل الجهالات، وإياكم والكبر والصلف<sup>(٤)</sup> والعظمة فإنها عداوة محتلبةٌ من غير إحنة<sup>(٥)</sup>، وتحابُّوا في الله عز وجل في صناعتكم، وتواصوا عليها بالذي هو أليقُ بأهل الفضل والعدل والنُّبَلِ من سلفكم. تولانا الله وإياكم يا معشر الطلبة والكتبة بما يتولى به من سبق علمه بإسعاده وإرشاده، فإن ذلك إليه وبيده، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته<sup>(٦)</sup>.

### صاحب النص:

هو عبد الحميد بن يحيى بن سعد العامري بالولاء، من أشهر الكتاب في آخر العصر الأموي،

(١) ثقاف: مقوم.

(٢) قوام الشيء: عماده. الخراج: الجزية وما يُصالحُ عليه أهل البلاد المفتوحة.

(٣) اربؤوا بأنفسكم: ارتفعوا بأنفسكم.

(٤) الصلف: التناول.

(٥) الإحنة: الحقد.

(٦) من أراد أن يطلع على النص كاملاً فليرجع إلى الجزء الأول من صبح الأعشى.

فقد طور الرسائل بكثرة التحميدات في صدر الرسالة، وبالتوسع في المعاني، والعناية بترتيبها ووضوحها. اشتغل في دواوين الخلفاء حتى أصبح المقدم عند مروان بن محمد، ولما قوي أمر العباسيين هرب مع مروان إلى مصر حيث قتل في بوسير سنة ١٣٢هـ.

### تقسيم النص:

( أ ) مقدمة: تبدأ بـ ( أما بعد ) وتنتهي بـ ( والرواية ) وتشتمل على الدعوة بالتوفيق للكتاب وبيان منزلتهم.

( ب ) عُدَّة الكتاب: وهي إرشادات ونصائح وتعاليم للكتاب، وهي لب الرسالة وصميمها وتبدأ بقوله: ( فتنافسوا يا معشر الكتاب ) وتنتهي بـ ( والنبيل من سلفكم ).

( ج ) خاتمة: تبدأ بقوله ( تولانا الله ) وتنتهي بـ ( والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ) وهي دعاء للكتاب برعاية الله لهم. ثم سلام يشعر بانتهاء الرسالة.

### الأفكار:

لم يعرف الكُتَّاب رسالة فهجت فهج رسالة عبد الحميد في أفكارها بحيث وجهها إلى فئة من الناس هم الكتاب، وعلى هذا فإن الفكرة جديدة، وإن كانت النصائح الموجودة تصلح للكتاب وغيرهم إلا ما قل من تلك الإرشادات.

والأفكار تشتمل على صدق صاحبها وإخلاصه فيما يقول، والدليل على ذلك أن هذه الأفكار عندما تطبق على الواقع تكون حقائق ملموسة، فأفكار عبد الحميد إذن أفكار متطورة تسابق الزمن الذي قيلت فيه، فالكتاب تسابقوا إلى حفظها، بل إنها أثرت في كثير من الناس فأخذوا يكتبونها ويتدارسونها. وأما تنظيم الأفكار وترتيبها فهو أمر ملموس؛ فالرسالة تتكون من ثلاثة أجزاء:

### ١- مقدمة. ٢- عرض. ٣- خاتمة.

والعرض وهو لب الرسالة تدرجت فيه الأفكار تدرجاً ينقل الفائدة إلى القارئ والمستمع بسهولة، فالكاتب أمر الكاتب بالفقه في الدين والنظر في كتاب الله ثم إتقان اللغة العربية، وانتقل

بعد ذلك إلى إجادة الخط، وبعد ذلك أمرهم بالاطلاع على التاريخ والأيام والاستفادة من الشعر، ولفت الكتاب إلى تعلم الحساب. وهذا القسم هو الفكرة الرئيسة التي تُعدُّ الكاتب للكتابة، ثم خصص القسم الثاني من العرض للنصائح حيث أرشد الكتاب إلى التحلي بالصفات السامية والابتعاد عن الصفات الدنيئة.

ومن خلال هذا العرض لأفكار الكاتب يتضح لنا أنها أفكار تشملها وحدة تامة تربط جميع أجزائها في إطار واحد، وهي بعد ذلك أفكار واضحة بعيدة عن اللبس والغموض.

### الأسلوب:

أسلوب عبد الحميد في رسالته أسلوب متطور حسن الصياغة؛ فألفاظه خالية من الغريب. وتراكيب الرسالة متماسكة ألفاظ متألّفة فيما بينها، ليس فيها تعقيد يمنع من فهم المعنى، ويظهر في أسلوب الكاتب الترادف، فهو يجمع عدداً من الكلمات لمعان متقاربة مثل: (وحاطكم ووقفكم وأرشدكم) وقوله: (أهل الأدب والمروءة والعلم) والترادف ناتج عن تطويل الرسائل، فالترادف في الأسلوب وتفتيق المعاني في الأفكار يرجعان إلى طول الرسالة.

وظاهرة أخرى في أسلوب هذه الرسالة وهي كثرة استخدام حروف العطف، وهذا الأمر وإن لم يكن مستحسنًا إلا أن حاجة الأفكار إلى هذه الحروف جعلتها مقبولة. وقد استخدم الكاتب السجع كقوله: (فتنافسوا يا معشر الكتاب في صنوف الآداب) وقوله: (فإنها مذلة للرقاب مفسدة للكتاب) ولكن الكاتب لم يكثر منه فجاء مناسباً وخفيفاً على السمع، ومما نلاحظه في الأسلوب تنويع العبارة ما بين دعاء وأمر وتحذير.

وقد أحسن الكاتب عرض أسلوبه فبدأ المقدمة بـ (أما بعد) وضمنها الدعاء، وعندما انتقل إلى العرض غير أسلوبه من الدعاء إلى الأمر حيث بدأ بقوله (فتنافسوا) ثم عاد إلى الدعاء في الخاتمة حيث قال: (تولانا الله وإياكم) وكما أنه أحسن الابتداء فقد وفق ختم رسالته حيث ختمها بالدعاء والسلام.

## مناقشة

- ١ - ما أنواع الخطابة في العصر الأموي؟ وما أهم أسبابها؟
- ٢ - أسلوب الخطابة في العصر الأموي يختلف بحسب نوع الخطبة. اشرح هذه العبارة.
- ٣ - ما أنواع الرسائل في العصر الأموي؟ وما المراحل التي مرت بها؟
- ٤ - متى ظهرت الكتابة الفنية في العصر الأموي؟ ومن هم روادها؟

الصفحة	الموضوع
٧٣	الفصل الدراسي الثاني
٧٥	توزيع المنهج للفصل الدراسي الثاني
٧٧	الأدب في عصر صدر الإسلام
٧٧	أثر الإسلام في اللغة والأدب
٧٨	أثر القرآن في اللغة والأدب
٧٩	أثر الحديث في اللغة والأدب
٨٠	الشعر في عصر صدر الإسلام
٨٠	موقف الإسلام من الشعر
٨١	أغراض الشعر في عصر صدر الإسلام
٨١	المدح
٨٢	الهجاء
٨٣	الحماسة
٨٣	الرتاء
٨٥	شعر الدعوة والفتوح الإسلامية
٨٨	خصائص الشعر في صدر الإسلام
٨٨	( أ ) خصائص المعاني
٨٩	(ب) خصائص الأسلوب
٩١	نماذج من الشعر في عصر صدر الإسلام
٩٦	حسان بن ثابت (حياته وشعره)
٩٧	شعره في الجاهلية
٩٩	شعرة في الإسلام
١٠٤	كعب بن زهير ( حياته وشعره )
١١٢	النثر في عصر صدر الإسلام

الصفحة	الموضوع
١١٢	الخطابة
١١٣	نماذج من الخطابة
١١٦	الرسائل
١١٦	نماذج من الرسائل
١٢٠	الأدب في العصر الأموي
١٢٠	الشعر
١٢٠	أغراضه
١٢١	الشعر السياسي
١٢٢	المدح
١٢٣	الهجاء
١٢٣	النقائض
١٢٥	شعر الفتوح والدعوة الإسلامية
١٢٨	خصائص الشعر في العصر الأموي
١٢٩	نماذج من الشعر الأموي
١٣٣	حرير (حياته وشعره)
١٤٠	الفرزدق (حياته وشعره)
١٤٧	النثر في العصر الأموي
١٤٧	الخطابة
١٤٩	الرسائل
١٥١	نماذج من النثر الأموي
١٥٣	دراسة أدبية لرسالة عبد الحميد الكاتب إلى الكتاب
١٥٧	المحتوى